محمود شكري الآلوسي

تاريخ نجد

تحقيق وتعليق

محمد بهجة الأثري



محمود شكري الآلوسي

تاريخ نجد

مع ملحق بقلم الشيخ سليمان بن سحمان

تحقيق وتعليق

محمد بهجة الأثري





* اسم الكتاب: تاريخ نجد.
* المؤلف: محمود شكري الآلوسي.
* تحقيق وتعليق: محمد بهجة الأثري.
* **الطبعة الأولى لشركة دار الورّاق، 2007.**

* تصميم الغلاف: جبران مصطفى.
* صورة الغلاف: خريطة نجد من القرن التاسع عشر.
* الناشر: شركة دار الورّاق للنشر المحدودة - بغداد.

First edition by Alwarrak Publishing Ltd. 2007

www.alwarrakbooks.com

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.
Suite 500, 56 Gloucester Road,
London SW7 4UB. UK
Fax: 0044-207 581 9213
Tel: 0044 208-7232775
warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - بناية رسامني - طابق سفلي أول
ص. ب 6435-113 بيروت - لبنان
هاتف: 00961-1-750054
فاكس: 00961-1-750053
e-mail: info@alfurat.com

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذا كتاب ممتع، جزيل النفع؛ طالما تاقت نفوس الباحثين إلى درس موضوعه، وٱشرأبت الأعناق إلى الوقوف على ما يضمّه بين دفتيه من المباحث الرائعة...

كتاب شرح فيه مؤلفه أستاذنا عالم العراق (السيد محمود شكري الألوسي) ـ رحمه الله تعالى ـ تاريخَ قسم من الأمة العربية عظيم، جهل أكثر الناس ـ وأكثر الناس لا يعلمون ـ حقيقته وكنهه، ووقعوا في لبس من أمره، حتى كثرت عليه أقاويلهم، وكادت تتلاشى أنوارُ الحقيقة في ديجور ظلام المُلبسين. ووا أسفاه!

كتاب أبان فيه مؤلفه «حَقِّية» ما عليه هذا الشعبُ الإسلاميُّ، معزّزاً بأجلى الأدلة، ومؤيّداً بأمتن الحجج، وأحكم البراهين التي لا يكاد يتطرَّق إلى مُقدّماتها نقص لو أنّ ولعلَّ وليت؛ فإذا ما تدبَّره

إخواننا المسلمون في أنحاء المعمورة ـ ولا سيما العرب الكرام منهم ـ رجونا أن يزول من صدورهم نغل الحقد، ووغر البغضاء، وداء القطيعة والتدابر الذي أوهن قوانا، ومزّق أشلاء جامعتنا الإسلامية وقوميّتنا العربية إرْباً إرْباً وتركنا كالشذّاذ شذر مذر، لا راية تجمعنا، ولا ظل يحمينا، ولا منزل يؤوينا، تجوس خلال ديارنا العلوج، وتسترقنا القوى الغاشمة، وتجتاح ثمارنا هوج الاستبداد؛ وتوسمنا الذئاب، سوء العذاب، ونحن نتجرع وزين الآلام، وغصص المذلّة وصاب الاستعباد: لا نكاد نخبّ ونضع، أو نحطّ ونرفع... و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

كتاب تكفل بشرح أطوار هذا الشعب العربيّ الصميم وإداراته، وأخلاقه وعاداته، وبيان خطط بلاده القديمة والحديثة، وما حدثَ فيها من الحروب والانقلابات... كما تكفّل بشرح الدعوة الإسلامية السلفية التي ينبزها الصَّيَّادون ـ أصلحهم الله! ـ (بالوهَّابِيَّةِ) تنفيراً لقلوب جماهير العوام التي تستأنس بظلام الجهل وتتأذى من نور العلم والهدى لتتم لهم بغفلتهم لذةُ الاستفادة وأدراك المآرب الخبيثة: كلّ ذلك بعبارة وجيزة، وأسلوب سلس سائغ المشرب تَفْهَمُهُ العامة ولا تُنكره الخاصَّة. هذا عدا ما جاء فيه استطراداً من الأشعار الرائقة، وبعض الفصول التاريخية والمناظرات العلمية. وكشف حقيقة بعض البلاد المجاورة

تصريحاً أو تلويحاً ممّا سَتَقِفُ عليه في تضاعيفه.

وعلى الجملة فهو كتاب مفيد نادر المثال في موضوعه وإنْ لم يكن مُنْشأ على الأسلوب التحليليّ الذي توخّاه أغلب كتاب العربية اليوم، ويعيبون الحلْبة التي تقدمتهم على تجافيها عنه في الكتابة والتأليف، وحسبه فضلاً وفخراً أنه من أوّل المؤلفات التي كتبت عن تلك الديار النائية، والمنزوية عن العالم بالأمس، وأنه سيكون حتماً مرجِعَهُم وعمدتهم في خوض عباب البحث عن هذه الديار.

ولقد دعاني إلى إخراجه من مكنونات الغيب إلى عالم النشر مَسيس الحاجة إليه في معرفة تاريخ أمة عربية عظيمة لا يعرف الناس عنها إلا أقاويل مرقشة تلوكها أشداقهم وترمي بها أفواههم في الرسائل والصحف، وحكايات باردة لا نصيب لها من التحقيق والعلم اليقينيّ يتفيهق بها الذّمْلقانيّون من أعداء الإصلاح وأنصار الجمود، ثم الوفاء لمؤلفه رحمه الله ذلك الرجل العظيم الذي تعهَّدني بفضله، وصقل فكري، وقوَّم أودي وأرضعني لبان العلم والأدب مدة من الزمن من غير جزاء إلى أن أتاه اليقين، جزاه الله عنَّا وعن العلم بقدر أياديه العظيمة عليَّ؛ ونفعنا بهديه ونفحات آثاره ميتاً كما نفعلنا به حيًّا حيث كنا وروّاد الأدب نروح إلى ناديه خماصاً ونغْدو بطاناً...

وقد كان المظنون أن هذا الكتاب قد انتشلته أيدي العوادي

في جملة ما انتشلته من آثار المؤلف يوم نُفِيَ عن بغداد جزاء دعوته إلى الإصلاح والتحرر من أغلال التقليد الأعمى، ثم أسعدنا الحظ مؤخراً بالعثور عليه بين مسودات المؤلف وأوراقه مسوداً غير مبيض، وناقصاً غير تام، فحمدنا على كل حال مغبة العناء في التفتيش عنه، وأعملنا الهمة حالاً في نسخة ضناً به أن يبيدَ فيذهب عناء مُدَبِّجِه رحمه الله أدراج الرياح، ويحرم التاريخ كتاباً من أصدق كتبه وأشدها حاجةً إليه في مثل هذا اليوم. وفيما أنا جادّ في الانتساخ عنَّ لي أن أعيد كرة البحث والتنقيب في أوراق المؤلف عسى أن أعثر على ما يكون وصلةً ومتمماً للكتاب، فأسعدني الحظ ثانيةً إذْ ألفيت في أواخر مسوّدة الجزء الأولا من كتابه (تاريخ بغداد) فصولاً عن «القبائل الساكنة اليوم في نجد» و«أمراء نجد وذكر أنسابهم وسائر أحوالهم» و«مكاتبات أمراء نجد من آل سعود» و«بعض من اشتهر من علماء نجد الأعلام وما حدث منهم» فاغتبطت بها كلَّ الاغتباط وألحقتها بالكتاب، وهي، لعمْر الحق، به ألصق ولا مناسبة لها هنالك. والظاهر أن المؤلف رحمه الله إنما كتبها في تاريخ بغداد سهواً منه وغفلة، وسبحان من لا يسهو ولا يغفل.

وقد كان قليل العناية بمؤلفاته لا يتعهدها بالتهذيب والتشذيب، ولا يكاد يلفت إليها نظره إلا بإلحاح السائلين، فلذلك بقي أكثرها من نفثة القلم الأولى لم يتطرقه أقل إصلاح؛ وإنني لم

أشأ أن أتعرّض هنا لسوى تصحيح سهو القلم والتنبيه على صحة بعض التحريفات[1] والأغلاط في الهامش مع تعليق ما لا بدّ منه . . .

وقد كنت أود أن ألحق به ـ من عندي ـ فصولاً مهمة في سياسة البلاد النجدية الحديثة وتطوراتها الجديدة. . . إلخ، لولا موانع ثبطتني الآن عن كتابتها ونشرها. فأرجأتها إلى أجلها، ولكل كتاب أجل، ولكل أجل كتاب، والله يُقلّبُها كيف يشاء.

بغداد: سلخ رجب، سنة 1343هـ.

(1) تنبيه: اعتمدنا في تصحيح التحريفات في أسماء البلاد والقبائل على نجدي ثقة، ووضعنا بإزائها هذه السمة (*). وبقيت كلمات لم نهتد إلى صحتها. . . وقد راعى الأستاذ رحمه الله في كتابة غالب الأسماء التلفظ أي كتبها حسبما يلفظ بها من غير التفات إلى قواعد الإملاء المرعية فأبقيناها على حالتها إلا كلمات جرى بها القلم على الوجه الصحيح عفواً.

كلمة الطبعة الثانية

ما كدنا ننشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب حتى أقبلت عليه البقية الباقية ممن يستمعون القول ويتَّبعون أحسنه، ولم يعمِهم التقليد الأعمى والدسائس المرقشة ـ إقبالَ الهِيم على الماء الرويّ، فنفدت جميع نسخه قبل أن يحول عليها الحول. وما زالت تشغلنا الشواغل عنه رغماً عن الرغبة الشديدة فيه، وإلحاح الطابع بإعادة طبعه، حتى وفقنا أخيراً لإعادة النظر فيه، فأصلحنا منه بعض ما أغفلناه أولاً، وزدنا في الحواشي، ثم ألحقنا به (تتمة) مهمة وردتنا من الشيخ سليمان بن سحمان أحد علماء نجد، لهذا العهد. لما فيها من الفوائد السنية ولا سيما بحثه عن القرى المستحدثة. وعلى الله قصد السبيل.

5 شعبان سنة 1347هـ

محمد بهجة الأثري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مصرّف الدُّهور والأعوام، وبمدّل الأمور والأحكام، ومغيّر أطوار الأمم والنظام. والصلاة والسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، الذي جاء بشريعة غرّاء لا يعتري عروتها الوثقى انفصام. وعلى آله وأصحابه الهداة الأعلام، الذين هذبوا أعمالهم فكانت غرة وجه الإسلام، على ممرّ الأيام.

أما بعد، فيقول المفتقر إليه تعالى (محمود شكري بن عبد الله الحسيني البغدادي)، أحسن الله تعالى إليه في أولاه وأخراه ووالى عليه النعم والأيادي: إني طالما اشتقت إلى الوقوف على ما اشتملت عليه قطعة نجد من البلاد، وتقت إلى كشف اللثام عن أحوال سكنتها الكرام الأمجاد. فإن معرفة حقيقة القوم، مما خفيت على كثير من الناس إلى اليوم. فتصدّيت إلى تدوين ما وصلني من أخبار الرواة الأخيار، عمّا عليه هاتيك البلاد والأمصار، مما أرجو به كشف الحقيقة، وإيضاح الرمزة الدقيقة.

سائلاً منه التوفيق في القول والعمل، والعصمة من الزيغ والزلل، وتحقيق ما قصدناه من الأمل.

نجد وبيان ما يراد به:

إعلم أن لفظ نجد في اللغة ما ارتفع من الأرض وما خالف الغور، أي تهامة: فأعلى نجد تهامة واليمن، وأسفله العراق والشام، وأوله من جهة الحجاز ذات عرق فهو بين تهامة واليمن والعراق والشام والحجاز. وفي (نهاية الأرب): أن نجداً هي الناحية التي بين الحجاز والعراق. والحجاز هو ما بين نجد وتهامة، وهي جبل يقبل من اليمن حتى يتّصل بالشام ويسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة. فعلى هذا لا يكون أعلاه تهامة لوقوع الحجاز فاصلاً بينها وبين نجد. وقال الأصبهاني: إنما سمي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد، فمكّة تهامية، والمدينة حجازية، وكذا الطائف. وقال (عمارة): ما سال من حرة بني سليم وحرة ليلاء فهو الغور حتى يقطعه البحر وما سال من ذات عرق مغرباً فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة وهو حجاز أسود يحجز بين نجد وتهامة، وما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد إلى أن يقطعه العراق. وقال (الأصمعي) إنما سميت الحجاز حجازاً لأنها احتجزت بالجبال: وقال (الأصبهاني): أيضاً نقلاً عن ابن الأعرابي: نجد اسمان، السافلة والعالية، فالسافلة ما ولي العراق والعالية ما ولي الحجاز وتهامة. ونقل عن الأصمعي أنه قال: إذا

جُزْتَ ذات عرق إلى البحر فأنت في تهامة، وإذاجزت وجرة وغمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العذيب. وغمرة في طريق الكوفة ووجرة في طريق البصرة. إلى هنا ذكر نجد. (قال) ويقول بعض الناس: إذا بلغت العذيب من ناحية الكوفة وهي من الكوفة على مرحلة فأنت في نجد إلى أن تبلغ حد تهامة. ونقل عن الأصمعي أنه قال: إذا جاوزت عجْلزاً من ناحية البصرة فقد أنجدت وإذا بلغت من ناحية الكوفة سميراء أو دونها فقد أنجدت إلى أن تبلغ ذات عرق، فإذا تصوبّت في ثنايا ذات عرق فقد أتهمت ويقال إذا خرجت من المدينة على مشرّفها أفضل الصلاة وأكمل السلام فأنت منجد إلى أن تتصوب في مدارج العرج، فإذا تصوّبت فيها فقد أتهمت إلى مكة المكرمة. قال: ويقول أهل المدينة: أخذت التهامية أم النجدية؟ فالتهامية التي على عُسْفان والجُحْفة، والنجدية التي على طريق الرَّبذَة. (قال) وللبصرة إلى مكة طريقان أما أحدهما فالصحراء عن يسارك وأنت مصعد إلى مكة ليالي، فإذا ارتفعت فخرجت من فلج فأنت في الرمل، فإذا جاوزت النباج والقريتين فقد أنجدت وإذا أخذت طريق المنكدر إلى كاظمة فثلاث إلى كاظمة وثلاث في نجد وبيان ما يراد به.

الدوّ وثلاث في الصمان وثلاث في الدهناء. (وقال) بعضهم: إذا جاوزت الحفر ـ حفر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو حفر بني العنبر كان أبو موسى احتفر فيه ركية ـ فأنت في نجد.

(وقال آخرون): حدّ نجد من النباج وهو لبني عبد الله بن عامر بن كريز. والبعض يقول: إذا جزت القصيم فأنت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق ثم تتهم.

وبعض المتأخرين قال: نجد قطعة عظيمة من جزيرة العرب تحدّ شمالاً ببرّ الشام، وشرقاً بعراق العرب والإحساء، وجنوباً بالأحقاف واليمامة، وغرباً بالحجاز. ففي تحديد نجد أقوال كثيرة متقاربة المعنى.

وعلى كل الأقوال أن نجداً من أحسن أقطار الأرض العربية، وأعدلها مزاجاً، وأرقّها هواء، وأعذبها ماء، وأخصبها أرضاً، وأنبتها أزهاراً ونباتاً. أوديته كالرياض، وأغواره كالحياض. ولم يزل الشعراء قديماً وحديثاً يترنمون بذكره، ويلهجون بوصف بلاده وقطره، ويعطرون الأندية بنشر خزاماه وعطره. ولا بأس بإيراد شيء من ذلك العَرَار، فإن أحاديث نجد لا تمل بتكرار. قال الأمويّ في نجدياته:

أقول لسعد وهو خلّي بطانة ... وأيّ عظيم لم أنبّه له سعدا
إذا نكبت نجداً مطاياك لم أبل ... بعيش وإن صادفته خضلاً رغدا
تلبث قليلاً يرم طرفي بنظرة ... إلى ربوات تنبت النَفَلَ الجعدا[1]
فإنك إن أعرقت والقلب منجد ... ندمت ولم تشمم عِرَاراً ولا رَنْدا[2]

---

(1) النفل بفتح النون والفاء، نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيب الرائحة.
(2) العرار بالفتح، النرجس البري. والرند شجر طيب الرائحة والعود والآس.

ولـم تـرد الـمـاء الـذي زادك الـنـوى ... وقـد ذقـت مـاء الـرافـديـن بـه وجـدا

أتـرمـي بـنـا أرض الأعـاجـم ضـلـةً ... فـتـزداد عـمـن تـشـتـهـي قـربـه بـعـدا

وهـا أنـا أخـشـى والـحـوادث جـمـة ... إذا زرتـهـا أن لا تـرى بـعـدهـا نـجـدا

وقال:

وحي مـن بـنـي جـثـم[1] بـن بـكـر ... يـزيـرون الـقـنـا ثُـغَـرَ الأعـادي[2]

إذا نـزلـوا الـحـمـى مـن أرض نـجـد ... كـفـوه تـرقـب الـديـم الـغـوادي

أعـاريـب إذا خـضـبـت تـروّت ... دمـاً سـربـاً أنـابـيـب الـصـعـاد

لـهـم أيـدٍ تـشـد عُـرا عـلاهـم ... بـأطـراف الـمـهـنَّـدة الـحـداد

وقال:

خـلـيـلـيَّ سـيـرا بـارك الله فـيـكـا ... فـقـد شـاقـنـي مـن أرض عـذرة ريـم

بهير الخطا[3] لا يكْلم الأرض وطؤه ... ومـا حـازه مـنـه الـوشـاح هـضـيـم

يـنـوش بـواديـهـا الأراك وعـنـده ... مـنـاهـل تـرعـى أهـلـهـا ونـسـيـم

وقال:

وسـرحـة بـربـى نـجـد مـهـدلـة ... أغـصـانـهـا فـي غـديـر ظل يـرويـهـا

إذا الصبا نسمت والمزن يهضبها[4] ... مشي الـنـسـيـم على أيْنٍ يـنـاجـيـهـا

تـقـيـل فـي ظـلـهـا بـيـضـاء آنـسـة ... تـكـاد يـنـشـرهـا لـيـنـاً ويـطـويـهـا

سـود ذوائـبـهـا، بـيـض تـرائـبـهـا ... حـمـر مـجـاسـدهـا، صـفـر تـراقـيـهـا

عـارضـتـهـا فـأتّقـت طـرفـي بـجـارتـهـا ... كـالـشـمـس عـارضـهـا غـيـم يـواريـهـا

---

(1) كذا والصواب «جشم».
(2) الثغر: جمع ثغرة وهي نقرة النحر بين الترقوتين.
(3) أي ضعيف الخطا.
(4) يمطرها.

وقال:

قفا بنجدٍ نُسلّمْ ... على ديار سعاد
فلي ربوع تروى ... بها الطلول الصوادي

أقوال الشعراء في نجد:

والناجيات[1] إليها ... يخدن ميل الهوادي
لها من الشوق هادٍ ... ومن زفيري حادي
وكم بها من ظباء ... حلت سَرارة وادي[2]
تسبي الأسود بنُجل ... كالباترات الحداد
كأنها من فتور ... مملوءة من رقاد
عارضتها إذ تولّت ... بها الحدوج العوادي

وقال:

ولولا الهوى سارت إليكم كتيبة ... يعضل من نجد بها الحزن والسهل
ولم أستطب شم العَرَار ولا أتى ... بي الرمل حبي أهله، سُقيَ الرمل

وقال:

بمنشط الشيخ من نجد لنا وطن ... لم تجر ذكراه إلا حن مغترب
إذا رأى الأفق بالظلماء مختمراً ... أمسى وناظره بالدمع منتقب
ونشقة من عَرار هز لمته ... رويحة في سراها مسها لغب
تشفي غليلاً بصدري لا يزحزحه ... دمع تهيب به الأشواق منسكب

---

(1) ناقة ناجية ونجية: سريعة.
(2) سرارة الوادي: بطنه وأطيبه.

والنار بالماء تُطْفا[1] والهموم لها في القلب نار بماء الدمع تلتهب

وقال:

ودَع هذيماً فقد طاف السلو به وعن قريب تراه يلتوي كمدا
ويا هذيم! ألا تبكي على وطن يذيب من أدمعي ذكراه ما جمدا
هلّا اقتديت بسعد في صبابته غداة مدَّ لتوديع الحبيب يدا
أتنجدان فؤاداً شيقاً علقت به الصبابة إن اتهمتها جسدا؛
أم تنقضان عهوداً كنت أبرمها أن تنقضاها فلا لاقيتما شدا؛
متى تغيبا ولم يمنعكما كرم أن تخبرا بأحاديث الهوى أحدا
فلا رأت عَلميْ نجد عيونكما ولا رعى بالحمى نضواكُما أبدا[2]

وقال:

خليليّ هذا ربع ليلى بذي الغضىٰ سقى الله ليلى والغضى وسقاكما
وقد كنتما لي مسعدين على البكا فما لكما لا تسعدان أخاكما
أظل وحيداً لا أرى من أحبّه فهل بالحمى لي من خليل سواكما
ولو غاب عنّي واحد منكما وهت قوى الصبر لا أوهى الزمان قواكما
فكيف أذود الهمّ عنّي تجلداً وقد غبتما عن أرض نجد كلاكما

وقال:

وركب يزجرون على وجاها بقارعة النقا قُلُصاً[3] عجالا
فحالت دونهم تلعات نجد كما واريت بالقرب النصالا

---

(1) بتخفيف الهمزة للضرورة.
(2) النضو: المهزول من الإبل وغيرها.
(3) جمع قلوص وهي الشابة من الإبل.

حملن من الظباء العين سرباً وقد عوض عن كُنُسٍ[1] رحالا

وقال:

وفي فؤادي تبوأتَ وطناً وكان بالأبرقين معهدها
بحيث يلقى الساري مشهرةً يقضمها المندليّ موقدها
يا نجد لا أخطأتك غادية أغزرها للحمى وأجودها
فالطرف مذ غبت عنك يسهره ذكرى ليالٍ قد كان يرقدها

وقال:

تأملت ربع المالكية باللوى فأذريت دمعي والركائب وقف

وقال:

ذرا اللوم يا اْبْنَيْ سالم إنّ صبوتي رمت كلّ لاح من ابائي بمسكت
أمر بحزوى مطرقاً خيفة العدى ولم أر منهم غفلة أتلفت
أيا دهركم فرّقت بين أحبّتي وما تبتغي من شملي المتشتت

وقال:

أقول لصحبي حين كررت نظرة إلى رملة مَيْثاء[2] تندى ظلالها
هنالك دار مس أطلالها البلى حبيب إلى نفسي غضاها وضالها[3]
أرى النضوة الأدماء يطربها السُّرى إليها وان دانى خطاها كلالها
بها غادرة تلهى الظباء بنظرة فتنسى بها الأم الرؤوم غزالها

وقال:

---

(1) جمع كناس وهو مستقر الظبى في الشجر.
(2) سهلة.
(3) الغضي والضال: شجر.

أعائدة تلك الليالي بذي الغضى ألا لا وهل يثنى من الدهر ما مضى
إذا ذكرتها النفس باتت كأنها على حد سيف بين جنبيّ ينتضى
فحنّ رويداً أيها القلب واصطبر فلا يدفع الأقدار سخط ولا رضى

وقال:

إذا رأيتُ الركاب صادرة سار بقلبي إليك منجدها
وأُم خشفٍ ضلَّته فانطلقت تنشده وإلٰهاً وينشدها
فصادفته لقى بمهلكة يغص بالضاريات فدفدها
وحاذرتها فاستشعرت وجلاً تقرب منه والرعب يبعدها
فتلك مثلي إن زرت منزلة أرى مهاها فأين خرَّدُها
وبين جنبي لوعة وقدت وليس إلا ظمياء تخمدها

وقال:

ونجد دارها وبه شبا الخطية الملد
وبي شوق تلقحه تباريحٌ من الوجد
ويبكيني تذكره فوا لهفي على نجد

وقال:

ألا من لصب أن تغشته نعسة سوى البرق نجدي السنا وهو شائقه
وإن لم تؤرقه وعاوده الكرى وطيفك يا بنت الهلالي طارقه
بليل طويل ينشد النجم صبحه فلا الصبح مسبوق ولا النجم لاحقه
فواهاً ليوم عند ساكنة النقا عفا الدهر عنه وهو جم بوائقه

وقال:

وبجسمي ضنى بخصر سليمى مثله فهو لا يزال نحيلا

وشفائي منه نسيم يغاديـ — ـني وطرف يرنو إليّ كليلا
هل سمعتم ياساكني أرض نجد — بعليلين يشفيان عليلاً؟

وقال:

أحنُّ وللأنضاء بالغور حنة — إذا ذكرت أوطانها بربى نجد
وتصبو إلى رند الحمى وعَرَاره — ومن أين تدري ما العرار من الرند؟

وقال:

وأراني الشوق إذ أرَّقني — بمنى من أرض نجد حَضَنا[1]
منزل حل به لي سكن — بعد ما اختار فؤادي وطنا
كلما شئت تأملت له — منظراً أصبو إليه حسنا

وقال:

ونفحة من ربى ذي الأثل قابلني — بها نسيم يزيد القلب أحزانا
ولم يطب تربها من روضة أُنفٍ — فهاج رياه أطراباً وأشجانا
لكن ذا الأثل طاب الواديان به — حيث الرباب تجر الذيل أحيانا
ولم يكن لي أكناف الحمى وطناً — ولا الفوارس من نبهان جيرانا
فلم يزل بي هوى طائية علقاً — حتى استفدت به أهلاً وأوطانا

وقال:

هي الجرعاء صادية رباها — فزرها يا هذيم، أما تراها؟
وخل بها دموعك واكفاتٍ — وكوفَ السحب واهية كلاها
ولا تذعر بها أدماء تزجي — بِرَوقَيها على لَغَب طَلاَها[2]

---

(1) حضن: جبل بنجد ومنه المثل «أنجد من رأى حضناً».
(2) الروق: القرن. واللغب: الإعياء. والطلا: ولد الظبي.

وقال:

أحب لحبها تلعات نجد ... وما شغفي بها لولا هواها
أما والراقصات تقلّ ركباً ... كأنهم الصقور على مطاها
ليرتمين بي والليل داجٍ ... إليها العيس مائلة طُلاها[1]

وقال:

وقفنا بوادي ذي الأراكة والحشا ... يذوب وما للصبر في القلب موضع
وليس به إلا حبيب مودّع ... على وجل يتلوه دمع مشيّع
فليت جمال المالكية إذْ نأت ... أقامت بنجد وهي حسرَى وظلَع
وهذا مصيف بالحمى لا تملّه ... وفيه لمن يهوىٰ البداوة مربعِ

وقال:

وموقف زرته من جانبي حَضَنٍ ... بحيث يرخي قبالى نحوه الماشي
والعامرية تذري دمعها وجلاً ... والصبُّ لا آمن فيه ولا خاشي
تقول لي والدجى تلقى كلاكلها: ... حديثنا بين سكان الدجى فاشي

وقال:

نظرت وللأدم النوافخ في البُرى[2] ... بشرقي نجد يا هذيم حنين
إلى خفرات من نمير كأنها ... ظباء كحيلات المدامع عين

وقال:

أعصر الحمى عد بالمطايا مناخة ... بمنزلة جرداء ضاح مقيلها
لئن كانت الأيام فيك قصيرةً ... فكم جنة لي بعدها أستطيلها

---

(1) أعناقها.
(2) جمع برة وهي حلقة في أنف البعير.

وقال:

هذه دارها على الخلصاء ... أضحك المزن روضها بالبكاء
وكساها الربيع حلة نَوْر ... نسجتها أنامل الأنواء
فسل الركب أن يميلوا إليها ... بصدور الركائب الأنضاء
إنها منزل به التقم الأجـ ... ـرع في ميعة الشباب ردائي
وكأني أرى بأطلالها وَشْـ ... ـماً خفياً بمعصميْ ظمياء
أرج تربهن من فتيات ... ألفته أشباهها بالظباء
وبنجد للعامرية ربع ... برباه مُعَرَّس[1] الأهواء

وقال:

أليلتنا بالحزن عودي فإنني ... أطامن أحشائي على لوعة الحزن
فقالوا مَن الساري وقد بله الندى ... فقلت ابن أرض ضلّ في ليلة الدجن
له حاجة بالغور والدار والحمى ... ونجد هواه وهي تعرف ما أعني

وقال:

ألا بأبي لدي إلّا ثلاث رَبْع ... سقى طلليه محجريَ الرويّ
لطمت إليه خد الأرض حتى ... تراخت في أزمتها المطيّ
فدم تعاقب العصرينَ رسماً ... يلوح كأنه وشم خفيّ
وقد نار الربيع به وأسدى ... كما نشرت غلائلها الهديّ
وكاد رباه ترفل في رداء ... من النوّار فوّفهُ الحبيّ[2]
محل للكواعب فيه مغنى ... أطاب ترابه المِرْطُ البديُّ[3]

---

(1) اسم المكان الذي يعرس به أي ينزل به القوم في آخر الليل للاستراحة.
(2) الحبى كغنى: السحاب يشرف من الأفق على الأرض.
(3) المرط كسا من صوف أو خز.

إذا خطرت به نمت عليها ... رياح ألتبته والحلي[1]
فلا أدري ألاح قلوب طير ... على اللبّات منها أم ثديّ؟
ذكرت بها سليمى فاستهلّت ... دموع بالنجاد لها أتيُّ

وقال:

وآلفة للخدر طاهرة النقا[2] ... لأسرتها في عامر ما تمنَّتِ
تحل بنجد منزلاً حلت العلى ... به فاستقرّت عنده واطمأنت
تذكرتها والركب مغفٍ وسامرٌ ... فهاج مطاياهم حنيني فحنَّت

إلى أن قال:

تهيم إذا ريح الصَّبا نسمت لها ... بنجد أو الأيكية الورق غنَّتِ
وتصبو إلى ليلى وقد شطت النوى ... ومن أجلها حنَّتْ ورنَّتْ وأنَّت

وقال:

ألام على نجد وأبكي صبابة ... رويدَكَ يا دميع ويا عاذلي رفقا
فلي بالحمى من لا أطيق فراقه ... به يسعد الواشي ولكنني أشقى
وأكرم من جيرانه كل طارق ... يود وداداً أنه من دمي يسقى
إذا لم يدع مني نواه وحبُّه ... سوى رمق من أهل نجد فكم يبقى
ولولا الهوى ما رقّ للدهر جانبي ... ولا رضيت منكم قريش بما ألقى

وقال:

متى طرقتني نفحة غَضَوِية ... يفوه بريّاها العَرَار أو الرَّنْدُ
أزالت فؤاد الصب عن مستقرّه ... بوجد كما يفتر عن ناره الزَّند

---

(1) التبته: ألصقته على جلدها.
(2) في ديوانه: «وآلفة للخدر طاهرة الثوى».

إذا ما الغمامُ الجَوْدُ حلَّ نطاقه　　فخص به نجد ومن ضَمّه نجد

وقال:

يا نجد ما لأحبّتي شطوا　　لم يحم أرضك مثلُهم قط
ظعنوا فمالك لا تفارقهم　　يا قلب إن رحلوا وإنْ حطّوا
وكأن عِيَسُهُم على حدق　　تدمى الجفون دموعها تخطو

وقال:

يا حبذا نجد وريّا　　والحمى والأجرعُ
وظله الألمى حوا　　لَيْهِ غدير مُتْرَع
ريا التي اختير لها　　بذي الأراك مربع

ومن أبيات:

فيا نازلي رمل الحمى هل لديكم　　شفاء لصب داؤه من طبيبه
وفيكم قِرى للطارقين فزاركم　　محبّ ليقرى نظرة من حبيبه

وقال:

أخا العريب أما تنفك بارقةٌ　　تسمو بطرفي إلى ريّان أو حَضَنٌ
أصبوا إلى أرض نجد وهي نازحة　　والقلب مشتمل مني على الحزن
وأسأل الركب عنها والدموع دمٌ　　بناظر لم يخط جفناً على وسن
وإن سرى البرق من تلقائها عرضت　　عيسى بذي سلم من مبرك خشن
والريح إن نسمت علوية نضحت　　بالدمع حنة علوي إلى الوطن
فهل سبيل إلى نجد وساكنه　　يهزّ من ألف المصرين للظعن
ليس العراق لها بعد الحمى وطناً　　يميس عافيه بين الحوض والعطن
وتستريح المطايا من ترقّصها　　إذا فلت لمم الحوذان بالثفن

فليت شعري وكم عزّ المنى أمماً   من فرع عدنان والأذواء من يمن
هل أهبطنّ بلاداً أهلها عرب   لم يشربوا غير صوب العارض الهتن
على مُطَهَّمَةٍ جُرْد جحافلها   بيض تلوح عليها رغوة اللبن
إذا رموا من يعاديهم بها رجعت   بالنهب دامية اللبات والثنْن
فلا دروع لها إلا جلودهم   ولا عليهم سوى الأحساب من جنن
إن يجمع الله شملي - يا هذيمُ - بهم   فلست ما عشت بالزاري على الزمن

وقال:

أحنّ إلى ميثاء حالية الثرى   وأصبوا إلى وعساء طيبة الترب

وقال:

وقفت على ربعيْ سليمى بعالج   وقد كاد أن يشكو البلى طللاهما
فأذريت من عينيّ ما رويا به   ولم يرو مني غلة وشلاهما

وقال:

وتنكر حتى ليلة الجزع بالحمى   لياليناً بالسفح من عَلَميْ نجد
وقد زرتها والباترات هواتف   بنا وأنابيب الرُّدَيْنِيَّة الملد

وقال:

فلولا ابنة السعدي لم يكُ منزل   بحيث العَرَار الغضّ يلتفّ بالرند
ولا هاج شوقي نفحة غضوية   غداة تلقتها العرانين من بعد

وقال:

إذا نشر الحيا حلل الربيع   فوشح نَوره كنفي وشيع
وقفت به فذكرني سليمى   وكان بنشرها أرج الربوع
بها سفح تبز شؤون عيني   خبيئة ما ذخرن من الدموع

فناح حمامها وحكته حتى ... وجدت الطرف يسبح في النجيع

وقال:

حننت إلى وادي الغضي ـ سُقى الغضى ـ ... حيا كل غاد من سَحَاب ورائح

أكر إليه نظرة بعد نظرة ... بطَرْف إلى نجد على النأي طامح

ولما جزعنا الرمل قال لنا السرى ... ألا رفهوا عن ساهمات طلائح

وقال:

على التلعات الجو من أيمن الحمى ... لكعبية آباؤها طلل قفر

كأن بقاياه وشائع يمنة ... ينشرها كيما يغالي بها التجر

وقفنا به والعين تجري غروبها ... وترزم عيسٌ في أزمتها صعر

إلى أن قال:

حمامة ذات السدر بالله غردي ... يجلو بك صحبي بالنقا سُقيَ السدر

أيسعد من يدمي جوانحه النوى ... حمام لديه الألف والفرخ والوكر

ولو استقصينا ما تمثل به أكثر الشعراء المجيدين بطيب هوائه ومحاله لطال الكلام، وفيما ذكرنا كفاية بالمرام لذوي الأفهام. وتبيّن مما أوردناه من الشواهد أن نجداً هي من أحسن بلاد جزيرة العرب، وأرقّها هواء وأعذب. طيبة التربة مياهها عذبة، فيها أحسن الفواكه والثمار، نبتها الخُزَامى والرَّنْد والعَرَار، نسيمها كنسمات الأسحار. ووحشها الظباء الأوانس، وأسدها الشجعان والفوارس. فيها التمر الذي لا يوجد في غيرها من الأقطار، والرياض الأنيقة المفتحة الأزهار، ليلها لصفاء الهواء نهار،

ونهارها كأيام المواسم للأنظار. فلذلك أصبحت كعبة قلوب العاشقين، ومطاف أذهان الوامقين، ومترنّم ألسنة الشعراء المفلقين، ما زالت محروسة بعين عناية ربّ العالمين.

ما اشتملت عليه نجد من القرى والبلاد:

إعلم أن أراضي نجد واسعة جداً. فيها بلاد وقرى كثيرة، وفيها صحاري وقفار شاسعة، يسكنها قبائل من العرب لا يُحصى عددهم إلا الله تعالى، لا يستقرون في محل واحد ولا يتوطنون في دار. بل لم يزالوا في حل وارتحال، شأن سكنة البوادي. وهم بطون وقبائل. وشعوب يرأس كل عشيرة منهم شيخ نافذ الكلمة فيهم. ولهم قوانين مرعية فيما بينهم، سيأتي تفصيلها إن شاء الله. والكلام الآن في حاضرة نجد وما فيها من القرى والبلاد والنواحي.

أما أول نجد أعني المعمور من مساكن الحاضرة من جهة الشمال (فجوف آل عمرو) الذي على شمال[1] خيبر وفيه قرى كثيرة، وكان في أيدي (عنيزة)[2] ثم صار إلى (آل رشيد) شيوخ (جبل شَمَّر) وكان ذلك بإذن أمير نجد (ابن سعود) وجبل شمّر هما جبلا طيّء أجأ وسلمى وكان مسكن (حاتم طيّء) الجواد الشهير

(1) في الأصل «شماله» وهو وهم كبير (*).
(2) الصواب: «عنزة» (*).

وهو إلى اليوم مستقر أمير الجبل من أبناء رشيد ومحل توطّنه. وفي هذا الجبل قرى كثيرة منها (حائل) و(قفار) و(مَوْقق)[1] و(جبة) و(بقعاء) و(سميراء) و(كهفة) وغير ذلك من القرى الكثيرة. وأحسنها وأوسعها بلدة (حائل) وهي بلدة واسعة الطرق عذبة المياه طيبة الهواء فيها ما يزيد على ألف دار، وفيها قليل من الغرباء التجار، وفيها نخيل وأشجار، تسقى من الآبار والعيون، وفيها التمر المعروف (بحلوة الجبل) وهو وحشي وبلدي وكلا النوعين من أحسن التمور المشهورة، وتمرتها نحو الإبهام شقراء أو حمراء. وفي البلدة مسجد تقام فيه الجمع والجماعات. وفيها مدارس وعلماء وفيها سوق. والسكنة نحو عشرين ألف نفس كلهم مسلمون من أهل السنة المواظبين على الطاعات وهم كسائر أهل نجد على مذهب الإمام (أحمد بن حنبل) رضي الله عنه كما سيأتي. والأمير إلى اليوم من آل رشيد وهم من الموالين للدولة العلية العثمانية المنقادين لأوامرها، وهم يحكمون بالعدل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا ينحرفون في أحكام الرعايا عن الشريعة الغرّاء. ولدى الأمير كل وقت عالم من علماء الحنابلة كلما حدثت حادثة أحالها الأمير إليه، فبين حكم الله تعالى فيها، فينفذه الأمير من غير تأخير، وهكذا سائر بلاد نجد. والأمير اليوم

---

(1) في الأصل «موفق» بالفاء والتصحيح عن معجم البلدان (ج 8 ص 205 طبعة مصر.

(عبد العزيز) وهو ذو سيرة حسنة ومزيد أدب وانقياد للدولة، وله صلاح ومعرفة في الدين وعدل. وكان سلفه (محمد بن رشيد) أيضاً على جانب من محاسن الأخلاق حتى استمال بحسن سيرته وسياسته قلوب كثير من أهل نجد. وآل رشيد كلهم شجعان محبّون للغرباء والأضياف كما هو شأن العرب الأماجد في الغيرة والوفاء بالعهود والكرم، وغير ذلك من محاسن الشيم، ومنهم اليوم أمراء الحاجّ المسافرون من بغداد على جهة الجبل وبواسطتهم تأمن السابلة وأبناء السبيل. نسأله تعالى أن يوفّقنا وإيّاهم لصالح الأعمال.

ومن نواحي نجد ناحية القصيم

وهي من أحسن نواحيه وأهلها من أشجع أهالي نجد.

وفي القصيم بلدتان مشهورتان وهما عنيزة وبريدة. وهما بلدتان واسعتان فيهما نحو خمسة آلاف دار، وفيهما مساجد كثيرة ومدارس متعددة لطلبة علوم الدين، وفيهما نخيل وأشجار متنوّعة ومياههما من الآبار. وكان الأميرُ قبل (ابن رشيد) رجلاً من آل سُلَيْم يولّى من قبل (ابن سعود) وهو من أهل بيت قديم من عنيزة من عِشيرة (سبيع) وكان أمير بريدة من السديريين مولّى من قبل (ابن سعود) آمراً على كافة قرى القصيم.

قرى القصيم

وقرى القصيم: الأسياح، وعين ابن فهيد، وحنيظل، وأبو الدود، وقصيبا، وغير ذلك. وهذه القرى كلها خِصْبة كثيرة النخل والبساتين والحدائق والثمار المتنوّعة والمياه العذبة.

قرى بريدة

وقرى بريدة: الشقة، والعيون، والبصة[1]، والقرعاء، ووادي عنيزة، وغير ذلك. وهذه القرى أيضاً كثيرة النخيل والأشجار والثمار، والعيون والآبار.

قرى الوادي

وقرى الوادي: الشيحيحات، والهلالية، واليكبرية[2]، والخبراء، والرس، وقراه صبيح، والنبهانية، والمذنب، وقراه ثلاث. هذا هو المشهور من محال القصيم.

وقد أسلفنا لك أول الكتاب أن بعض أهل العلم لم يعد القصيم من نجد بل قال إذا جزت القصيم فأنت في نجد إلى أن تبلغَ ذات عرق ثم تتهم. وعن أبي لغدة الأصفهاني: أن القصيم كان موضعاً ذا غضى فيه مياه كثيرة وقرى، منها القريتان: قريتا ابن

---

(1) الصواب «البصر» (*).

(2) الصواب «البكيرية» بتقديم الموحدة (*).

عامر. قال: وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان، إحداهما يقال لها العسكران. قال: وأهل القصيم كانوا يسكنون في خيام الخوص وهي منازل بني عَبْس وغيرهم، وفيه نخل كثير وهو من عمل المدينة. ويقال: حد القصيم قاع بولان وهي مفازة. قال: والقصيم رمل. وبالقصيم ماء لبني أسد في الرمل عليه خيام من الخوص كثيرة يقال له: الحويرثية.

قال الشاعر:

علـى الـربـع الـذي بـحـويـرثـاتٍ مــن الله الـتـحـيـة والـسـلام

وبالقصيم عجلز. وهي ماءة لبني مازن وهي المنصف بين البصرة ومكة. قال الراجز:

الله نـجـاك مـن الـعـجـالـز ومن جبال طخفة[1] النواشز

والعجالز رحب. وعجلز وما حولها من المياه ورحب ماء لبني مازن بالقصيم أيضاً، وبه أيضاً لبني المرقع[2] وهم من بني عبد الله بن غَطَفان مياه منها ماءة يقال لها الحجدرة[3] وماء يقال له الركبات. قال الراجز:

ظلت على الحجدرتين تستقي بسوقتين فجنوب الأبرق

وماء لبني ضبة يقال له كنيف وهو لبني كوز وفيه يقول الراجز:

(1) في الأصل «طفخة».
(2) لم أجد لهذا الاسم ذكراً فيما بين يدي من الكتب.
(3) لعله الجحدرة بتقديم الجيم على الحاء.

إن لـهـا عـلـى الـكـنـيـف مـشـربـاً   دعـائـمـاً وخـشـبـاً مـنـصـبـا

وكانت عجلز ورحب في أول الدهر لضبة، كان وهبهما ابن جفنة[1] لمحلم بن سويط. . إلى آخر ما قال مما لم نجد اليوم [منْ] يعرف تلك الأسماء من أهل نجد إلا القليل، وسبحان من يتصرف في ملكه كما يشاء.

ناحية السدير وقراه

ومن نواحي نجد ناحية السدير وبلدانها الزلفى - وقراه خمس - والمجمعة، وحرمة، ووشى، والجوى، وجلاجل، والتويم، والداخلة، والروضة، والحصون، والحوطة، والخيوبية، والعطار، والجنبقي، والعودة، وتمير، وعشيرة، والخطامة. فهذه محال سدير وقراه، ومركز الحكومة المجمعة. وكل هذه البلاد كثيرة النخل والبساتين والزروع والمياه العذبة، وسكنتها كسائر أهل نجد في العلم والعمل.

ناحية الوشم وبلادها وقراها

في هذه الناحية كثير من البلاد والقرى منها: الشقراء وهي بلدة متوسطة كثيرة الدور والمنازل، وكانت مركز الحكومة أيام إمارة ابن سعود. ومنها وسيل، وشيقر[2]، والقرائن، والفرعة،

(1) في الأصل «ابن جننة» وانظر أيهما أصح (*).
(2) الصواب: اشيقر (*).

وثرمدة، ومرآة، وثيثية[1]، والجريفة، والحريق، والقصب، وسيل، والبير، والدوادمي، والشعرة، والقويعية[2]، والرويضة، والشمس، والخانوقة، والحيد.

ناحية المحمل وما فيها من القرى

ومن نواحي نجد ناحية المحمل. وبلادها: ثادق، وكان مركز الحكومة أيام إمارة ابن سعود. والبير، والصفرّة، ورغبة، والبيرة، ودقلة، والقرنية، وملهم، وصليوخ. وهذه البلاد كلها مشحونة بالسكنة والقاطنين. وفيها نخيل وأشجار ومياه عيون وآبار، وأرضها قابلة للحرْث.

ناحية العارض وما فيه من البلاد

ومن نواحي نجد العارض. وهو المسمى بوادي حنيفة وباليمامة. وكان مركز إمارة ابن سعود على كافة نجد الحاضرة والبادية. وكان مركز إمارته «الدرعية» ثم انتقل إلى بلد يقال له «الرياض» من بلاد العارض، والسبب في ذلك خراب الدرعية أيام الحرب مع المصريين، فإن المصريين بعد دخولهم البلد صلحاً ـ بعد أن شابت من الفريقين النواصي ـ ورد الأمر في شعبان سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف من (محمد علي باشا) صاحب

(1) في الأصل «وثيبثة».
(2) في الأصل «والقويعبة» (*).

مصر إلى رئيس عسكره في نجد (إبراهيم باشا) وهو في الدرعية، أن يهدم الدرعية ويدمرها فأمر أهلها يومئذ أن يرحلوا عنها، ثم أمر العسكر أن يهدموا دورها وقصورها! وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها! ولا يرحموا صغيرها!! ولا يوقروا كبيرها!! فابتدر العسكر إلى هدمها مسرعين، فهدموها وبعض أهلها مقيمون فيها، وقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور، والقصور، ونفذ فيها القدر المقدور، وأوقدوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان، فتركوها خالية المساكن، كأنْ لم يتوطّنها متوطّن ولا سكنها ساكن. وتفرّق أهلها إلى النواحي والبلدان، ونعبت في خرائبها البوم والغربان. وكانت هذه البلدة على ما ذكر بعض الأفاضل النجديين من أعظم بلاد نجد وأحسنها بناء ووضعاً وأكثرها بيوتاً وأزيدها سكنة وأوفرها أموالاً ورجالاً لا يهتدي الواصف إلى وصفها ولا يحيط العارف بمعرفتها، فلو أردت أن تذكر أبطالها وفرسانها وإقبالهم فيها وإدبارهم وكرّهم وفرّهم في كتائب الخيل والنجائب، وما كان يدخل على أهلها من الأموال الكثيرة، على اختلاف أجناسها، وما كان من سوق التجارة النافقة لم يستوعبه كتاب، ولم يستقصه خطاب. قال: وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق كاليمن وتهامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم وغيرهم، ممن يطول الكلام بذكرهم. والناس لم يزالوا مختلفين

إليها، فهم ما بين داخل فيها وخارج عنها ومستوطن فيها وسائر منها. وكانت البيوت لا تباع فيها إلّا نادراً وكانت أثمان منازلها إذ ذاك ما يبن ألف (ليرا) عثمانية وخمسمائة إلى مائة وهذا الثمن يومئذ في بلاد نجد ليس بقليل. وإجارة الحانوت والدكان يومئذ خمسة وأربعون (ريالاً) في كل شهر. وبعضها أجرة كل يوم ريال واحد وهو قريب من (المجيدي) وإذا أتت القافلة من «الهدم» إليها بلغت أجرة الحانوت كل يوم أربعة أمثال الأجرة المعتادة. وهكذا سائر الأمتعة والأسباب التي تترقى بكثرة العمران ومزيد رغبة السكنة. وكان كل بيوت البلدة مقاصيرَ وقصوراً حتى أن من يشرف عليها من محل مرتفع يرى أمراً عظيماً، ولا سيما موسمها وما فيه من جماهير الأمم والخلائق الذين يسمع لهم دويٌّ كدوي النحل من مكان بعيد.

وبعد أن فرغ العسكر من هدم المدينة وتدميرها رحلوا عنها إلى الموضع المعروف (بالأموَى) وهو غدير قرب بلد (ضرَمى) كان سعود أمير نجد رحمه الله تعالى يجعل فيه خيله أيام الربيع، وبقي العسكر المصري يعيثون في أرض نجد ويخربون البلاد والقرى إلى أن عادوا إلى بلادهم.

والدرعية الآن فيها عمارة قليلة ونخيل وبساتين وسكنة لا نسبة لهم مع حالهم الأول. وسبحان من يتصرف في ملكه كما يشاء.

بلدة الرياض

هذه بلدة واسعة الأرجاء والطرق، كثيرة البيوت والسكنة، وهي إحدى مدن العارض طيبة الهواء، عذبة الماء، فيها مساجد ومدارس وعلماء راسخون في الدين، وفي نواحيها قرى كثيرة. وفيها نخيل وبساتين.

وأول ناحية العارض حريملة ثم سدوس، وفي قربها أبنية قديمة يظن أنها من آثار حمير وأبنية التبابعة (نقل لي بعض الأصحاب الثقات من أهل نجد: أن من جملة هذه الأبنية شاخصاً كالمنارة) وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في جدرانها. فلما رأى أهل قرية سدوس اختلاف بعض السياحين من الإفرنج إليها هدموها ملاحظة التداخل معهم.

ثم خرَمى[1] ثم العمادية، ثم أبو كباش، ثم الجبيلة، ثم العينية، ثم الدرعية، ثم عرقة، ثم الرياض، ثم منفوحة.

وفي جنوب العارض: الخرج وهي بلدة قديمة واسعة عن الرياض نحو ثمان ساعات. وفيها عيون وآبار، ونخيل وأشجار. وكانت قبيلة عائذ تسكنها وكانت لهم صولة عظيمة في البدو والحضر. ثم تفرّقوا في بلاد نجد وغيرها ولم يبق أحد منهم في البادية. وقد تفرّق كثير من قبائل نجد أيضاً كآل ورغب وآل كثير

---

(1) كذا والصواب ضرمى (*).

الذين ورد إلى العراق منهم عدد وافر.

قرى الخرج

وقرى الخرج: السلمية، والدلم، واليمامة، وزميقة، ونعجان، والسَّيح، وغير ذلك من القرى المشتملة على بساتين وسكنة كثيرين، وفيهم أهل العلم والعمل.

وادي الفرع وقراه

هو وادٍ معمور، وفيه نخل كثير وغالب الساكنين فيه من بني تميم ولم يبق منهم في البوادي أحد. وأما قراه فمن أشهرها: الحوطة، والحريق، ونعام والحلوة، وكانت دار الحكومة أيامَ إمارة ابن سعود.

ناحية الأفلاج[1] وقراها:

ومن نواحي نجد: ناحية الأفلاج وهي أول بلاد قبيلة الدواسر. وقراها: ليلى، والبديّع، والأحمر، والهدار، وغير ذلك من القرى المشحونة بالسكنة والنخيل والأشجار.

وادي الدواسر وقراه

أول وادي الدواسر: السليل، ومن قراه: اللدام[2]، وكثيرة، والحنابج وعدد جميع قراه خمس عشر قرية، وهذا الوادي مسكن

(1) في الأصل (الإفلاح) بالحاء المهملة (*).
(2) لعله (الدمام) (*).

قبائل الدواسر البادية والحاضرة، وهو آخر نجد من جهة الجنوب. والمعمور من نجد: من جوف آل عمرو[1] وإلى وادي الدواسر مسيرة خمسة عشر[2] يوماً بسير الأثقال من جهة الشمال إلى الجنوب. والمعمور منه من جهة الشرق إلى الغرب فهو مسافة ستة أيام، وهذا هو المعمور بالبلدان، وأما مساكن أهل البادية من العشائر والقبائل فهو طولاً مسافة شهر، وعرضاً كذلك.

أودية نجد

أودية نجد منها كبار ومنها صغار. فمن الكبار: وادي الدواسر، ومنها وادي حنيفة، ومنها وادي القصيم المسمى وادي الرمة، ومنها وادي سدير.

العقبات

وفي نجد عقبات صعبة المسالك، والدهناء هي الرمال الحاجزة دون نجد. والدهناء هذه هي التي قصدها الشاعر بقوله:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم ويرجعن من دارين بُجر الحقائب[3]

(1) في الأصل «إلى عمر» والصواب ما أثبتناه راجع ص 28.
(2) التحقيق 25 يوماً أو أكثر (*).
(3) البيت للأعشى يهجو به لصوصاً وبعده:
على حين إلهي الناس جل أمورهم فندلا زريق المالي ندل الثعالب
وهما من شواهد كتب النحو. راجع شرحهما في شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي ص 107 طبعة العثمانية بمصر سنة 1311هـ.

الجهة الجنوبية من نجد

أما الجهة الجنوبية من نجد ففيها بلاد عسير وهم قبائل كثيرون كلهم أهل شجاعة وإقدام، وثبات في حومة الحرب والخصام، منهم أهل حاضرة ومنهم أهل بادية، وأهل الحاضرة قبائل شهران من حمير وقد تولّاهم الأمير (ابن سعود) أيام إمارته، والآن ليسوا منقادين لأمراء نجد[1]. وكان شيخهم من عشيرة يقال لها (ألْمَع[2]) وغالب مساكنهم في الجبال، وهم لا يزالون يشنون الغارة على سواحل اليمن فينهبون منها. ومحل إقامة كبير الجبل بلدة تسمى (السقا) ولهم أكثر من مائة قرية، وأكثرهم في البادية.

الأرض المتّصلة بنجد من الجهة الشرقية

أما الجهة الشرقية لنجد فالإحساء والقطيف وهو أرض الخط. والرماح الخطية التي كانت مشهورة بين العرب منسوبة إليهم. وفي الخط جزيرة دارين الملاصقة للقطيف والإحساء وهي قرى كثيرة وأكبر ما فيها من البلاد: الهفوف والمبرز. والهفوف كانت أيام تصرف أمراء نجد فيها مركز الحاكم الذي يعين من قبلهم. وكان يومئذ في أرض الإحساء ست قلاع فيها عساكر أمراء نجد ويتبعها أكثر من مائتي قرية كبيرة، وهي بلاد متّسعة الأطراف،

(1) وقد انقادوا له اليوم.

(2) انظر التتمة لابن سحمان.

ممتدة الأكناف، سهلة المعاش، ذات نخل كثير وأشجار متنوّعة ومياه عذبة متسلسلة وأمراء نجد لم يكونوا يأخذون من هذه الأرض سوى العشر، وفي المبرز والهفوف مساجد كثيرة ومدارس متعددة وأسواق وعمارات كثيرة، وقد ألحقت بولاية بغداد والبصرة أيام حكومة (مدحت باشا) والياً على بغداد، وسنأتي على تفصيل القول فيها إن شاء الله تعالى.

وأما القطيف فجهة شرقها على ساحل البحر، وهي كالإحساء في النموّ والحواصل وجميع سكانه من الشيعة، والقطيف عن الإحساء مسافة ثلاثة مراحل والإحساء عن نجد مسافة سبع مراحل وبين القطيف الدهناء[1] وهي رمال، والصمان[2] وهي أرض يابسة لا يوجد فيها ماء، والمسافر منهما إلى نجد لا بد له من حمل الماء.

وفي جهة القطيف الشرقية بندر العقير الواقع على ساحل البحر وهو بندر الإحساء، وكان فيه محل محصن معدّ لتجار نجد الذين يسافرون إلى الإحساء فإنهم إذا وصلوا إلى هذا المحل جعلوا أموالهم فيه إلى أن تأتيهم الرواحل فتحمل أموالهم إلى الإحساء.

---

(1) كذا في العبارة سقط. والظاهر أنها هكذا: «وبين القطيف والإحساء وبين نجد الدهناء».

(2) في الأصل «الصماء».

ثم في الجهة الشرقية من العقير (قَطَر) وهي منزل أهل السفائن من العرب الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ وهم قبائل منهم من قحطان ومنهم من وائل. وفي برّ قطر بعضٌ من بني هاجر وفي باديته قبيلة تسمى (المناصير) وفي سواحله محال كثيرة منها البدع وهو رأس الزبارة ونويرط وغير ذلك من البنادر. وكان برّه وصحاريه في تصرف أمراء نجد.

تفصيل القول في قطعة الإحساء

هذه القطعة هي مجاورة لأرض نجد من جهة الشرق كما سبق، وكانت في إدارة أمراء نجد إلى أن وقع اختلاف بين أمرائها أوائلَ مجيء (مدحت باشا) والياً إلى بغداد. فجاء أحد أمرائها إليه وتعهّد له بضبطها فذهب مدحت باشا بنفسه مع ما يلزم من العسكر فضبطها وسخّرها كما كانت قبل من بلاد الدولة، فعيّن فيها حاكماً وقاضياً، وكذلك في ملحقاتها، وعين مأمورين آخرين وهي إلى اليوم على ذلك الحال. وقد تكلّم عليها بعض الأدباء من الأحبة وبين حالها بعد استيلاء الدولة نصرها الله تعالى ووفقها لما فيه حسن العاقبة فقال: طول أرض الإحساء من بيرية الواقعة في جنوبها إلى جزيرة العمائر الواقعة منها شرقاً[1] مائة واثنتا عشرة ساعة وعرضها من بَند العقير في ساحل البحر إلى العرمة الواقعة منها غرباً اثنتان وستون ساعة.

---

(1) لعله شمالاً (*).

وأعظم بلاد هذه القطعة المبرز والهفوف، والمسافة من الهفوف إلى العقير اثنتا عشرة ساعة.

ولأرض الإحساء ثلاثة بنادر وكل منها مرسى مهم: القطيف، والعقير، وقَطَر. وكل من هذه الثلاثة قصبة على حدة.

أما القطيف فواقعة على بعد أربعين ساعة من الهفوف.

وأما قطر فمسافتها عنها نحو ستين ساعة.

وأما العقير فعلى مسافة اثنتي عشرة ساعة، وذلك بسير الإبل والأثقال. وحيث إن العقير أقرب الثلاثة إلى مركز الحكومة ـ وهو بلد الهفوف ـ اتّخذ مرسى دون الأخيرين مع كثرة المياه العذبة أثناء الطريق.

وفي سواحل أرض الإحساء محلان مخصوصان بغوص اللؤلؤ[1] وهما: القطيف، وقَطَر. ومعايش سكنة قطر منحصرة في الغوص على اللؤلؤ، ليس لهم زرع ولا حرث. وأما أهل القطيف فلهم نخيل كثيرة وبساتين عظيمة بسبب ما فيه من المياه الكثيرة، ولذلك غالب السكنة من أهل الثروة. وأنهار أرض الإحساء زهاء ثمانمائة نهر ما بين صغير وكبير، والأكثر منها ينبع من الرفعة الواقعة من الهفوف شرقاً، وبعضها ينبع من شرقي المبرز البعيد عن

---

(1) تفصيل الكلام على الغوص في الجزء الأول من تاريخ الكويت المطبوع ببغداد سنة 1344 لمؤلفه الشيخ عبد العزيز الرشيد.

الهفوف نحو مسافة أربعين دقيقة. والقسم الأعظم من أرض الإحساء رمال لا تصلح للزراعة.

والبلد وحواليه قابل للزراعة وفيه نخيل كثير، وبساتين عظيمة. وحدائق ملتفة، وفواكه مختلفة، ومياه المعادن المتنوّعة، وفيه أنواع التمر التي تفوت الحصر. وفيه النبق الذي يعزّ مثله في البلاد، ومنه نوع معدم النوى. وفيه سبع محال يتكون فيها الملح، وثلاثة معادن للجَصّ ومعدن طين ويستعمله سكنة المحل للتنظيف بدل الصابون. ولم يستعمل من معادن الملح سوى أربعة والثلاثة الباقية مهملة. وهي في الصحراء مكشوفة الأطراف يأخذ منها الصادر والوارد، وذلك مقتضى الشريعة الغراء، فقد ورد: «الناس شركاء في ثلاث: الماء، والملح، والكلأ».

وفيه الأثمار والفواكه المتنوّعة. وقد اشتهر من تمره «الخلاص» ومن فاكهته «الخوخ» وإنما كان هذا الصنف من التمر أحسن أصنافه لأنه دقيق النوى، غليظ الجلد، رقيق الغشاء طيب الطعم . وعلى ذلك قول الأعرابي من أهل عمان لما سئل في جملة أسئلة عن خير التمر فقال: «خير التمر ما غلظ لحاؤه، ودق نواؤه، ورقّ سحاؤه».

وفي الإحساء أحسن الخيل، وأحسن الحمر البيض، وأحسن البقر. وفيها الإبل والغنم، وفيها الحيوانات الوحشية كالغزال، والذئب والأرنب، وابن آوى، والثعلب، والسنور البرّي، والحمر الوحشية.

ويزرع فيها الأرزُّ، والحنطة، والشعير، والسمسم، والذرة، والعَلَس، وغير ذلك.

وفي القرب من الهفوف بمسافة نصف ساعة في غربي المبرز عينٌ ينبع منها الماء الحارّ صيفاً وشتاء تسمى «بعين نجم» وهي في مكان فسيح، وخلف نخيل طرف السيفة عمّر ما حولها بالزراعة، وذلك سنة 1255هـ فقال عند ذلك الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد الملّا رحمه الله:

يا «عين نجم» فُقْتِ آبار الحسا	بحرارةٍ وبُخار ماءٍ يصعد[1]
زنْتِ البلاد لأن فيك دلالة	عظمى على توحيد ربٍّ يُعبَدُ
إذ كان حمامات أصحاب القرى	يحتاج قاصدها لنار توقد
ودُخان مائك ليس فيه مدخل	للخلق بل تقدير مولى يوجد
لولا الموانع قد عرتك ترادفت	منا إليك زيارة وتردد
منها اجتماع رجالنا ونسائنا	من حول عرصتك التي هي تقصد
وكذا اختلاط الضد من لا يشتهي	مرآهُم قلبي ولا يتودّد
وكذا موانع لا أذيع بذكرها	جهراً ويفهمها الذكي الأرشد

وقال سلالة العلماء الأماثل الأعيان الشيخ عبد الله الأحسائي ابن الشيخ محمد بن عثمان مذيلاً بالبيت الأول:

«يا عين نجم فقتِ آبارَ الحسا	بحرارة وبخار ماء يصعد»
وعجيب حالك كم دهى ذا فطنة	حتى تحير فيه وهو الأرشد

(1) الظاهر من إيراد هذه المنظومات السخيفة الفجّة هنا أنه أراد أن يمثّل بها روح الأدب في هاتيك الديار ليس إلّا.

ومن العجائب أن يعدّ عجيبة ... شيء سواك وحسن ذاتك يوجد

وإليك قد سمت العزائم للورى ... متفرجين فدأب خدرك يقصد

والناس طراً أظهروا حب الشتا ... والقيظُ عندهم بغيض مكمد

لمساغ وصلك في الشتاء ببرده ... ولأنه بلظى الهجير منكد

وإلى منيع جنابك المحروس كم ... من سيد أضحى هوًى يتردد

لمنافع قد شوهدت وتفرّج ... يدع القلوب بأنسها تتقلد

قد كنت طباً نافعاً للريح إن ... مكثت بجسم برؤه مستبعد

ولكم رأى بك من عليل برءَه ... مما عراه ونحن جزماً نشهد

وإذا تضيفت الهموم قلوبنا ... فعلاجها أن تنتحيك فتبعد

وبذا شغفت قلوبنا حباً فلم ... تك عنك منا سلوة وتجلّد

وإذا شددنا للرحيل رواحلا ... قصداً إليك فذاك عيد أسعد

ونعد من خير المطاعم زادنا ... ومن الشراب كؤوس بُنٍّ تورد

ونعد من كتب القصائد ما يفي ... بالقصد للإنشاد إذ ما نقعد

ويرى لنا منا اجتماع خير حا ... د دونه «إسحاق» فيما ينشد

ومتى اقترحناه الذي نهواه من ... نغماته يسمح ولا يتردد

فتعمنا الأفراح، والأتراح قد ... تنزاح عنا، والمزاح يجدد

ومتى أردنا أن نؤوب إلى الحمى ... أصحبتنا شوقاً إليك ينكد

لا زلت في حفظ الإله من الردى ... وكذا جنابك للبرية مقصد

وعلى النبي وآله وصحابه ... أزكى سلام بالصلاة يؤيد

ولما تشرفت تلك العين، بحلول الشيخين، والعلمين المفردين، بلغ خبر وصولهما ذا المناقب والمفاخر، والشيخ عبد الله ابن الشيخ أحمد بن عبد القادر، فأرسل بهذه الأبيات

يعرض فيها بالعتاب، إذ لم يرسلا إليه للاجتماع بهما مع الأحباب، فقال:

«يا عين نجم فقتِ آبار الحسا ... بحرارة وبخار ماء يصعد»
ونزاهة ونظافة في مائها ... والمدح في أوصافها يتزايد
والجسم يكتسب الشفا من حرها ... قولاً قديماً للأطبا يعهد
لكنني أشكو الجفا من سيد ... فاق الأنام وفضله لي يشهد
نجل الكرام السادة الغر الأُلى ... لهم المفاخر والعلى والسؤدد
بحر العلوم وحبرها ومفيدها ... وسليل من حاز المكارم أحمد
الشيخ عبد الله ذو الفضل الذي ... بهر السماك وغار منه الفرقد
سرتم إلى العين التي شرفت بكم ... وتضاءلت منها العيون السهَّد
وتركتموني مثل «قيس» هائماً ... من وجده فأنا المحب المبعد
أنا عبدكم والود مني ثابت ... حتى الممات ثبوته يتجدد
هلا بعثتم للمشوق رسالة ... يحيا بها القلب الشقي ويسعد
لكنَّ لي فيما مضى من أُسرتي ... أهل الفضائل أسوة لا تجحد
سترون بعدي أسوة لا تحزنوا ... والصبر في بعض المواضع يحمد
وصلاة ربي والسلام على الذي ... لولاه ما قال المؤذن «أشهد»

فأجابه الشيخ أبو بكر ابن الشيخ محمد بقوله:

يا نجل أرباب المكارم والحجا ... ومفاخر في غيرهم لا توجد
أنت الذي حزت المفاخر والنهى ... والحلم والعلم الذي هو مرشد
وردت إليَّ رسالة من سوحكم ... نظماً بديعاً في البلاغة مفرد
تتضمن التفنيد للخِذْن الذي ... هو في هواكم شوقه متجدد
هلّاَ عذرتم إذ عذلتم مغرماً ... من عذلكم زفراته تتصاعد

إني وحقك هائم في حبكم	هذا وسيماء الصبابة تشهد
لم لا وأنت سلالة الأنصار من	نصروا لدين الله فيه وجاهدوا
مع ذا وحبهم علامة مؤمن	بالله جاذا في حديث يسند
ما زال قلبي جانحاً لوصالكم	أبداً ونيران المحبة توقد
هذا ولما منّ ربي باللقا	زال العنا وأتى الهنا والمقصد
لولا موانع دهرنا لترادفت	منا إليك زيارة وتردد
دم سالماً في خفض عيش مخضل	محروس ذات سوحها لا يفقد
ثم الصلاة مع السلام على النبي	والآل ما ناح الحمام يغرد

وكان العوام يعتقدون أن من به عاهة إذا اغتسل في هذه العين يبرأ، وقد خشي بعض أهل العلم السلفيين الفتنةَ على الناس واختلال عقائدهم فدفنوها سداً للذريعة. وبعد انقيادها لزمام الدولة العثمانية أعادوها كما كانت وبنوا عليها قبة ومباني لطيفة فعاد الناس ينتابونها[1].

وحر الإحساء معتدل وهو فوق حر بغداد. وكنت سألت الأخ[2] الأفخم سلمه الله تعالى لما كان متقلداً قضاء ذلك اللواء سنة 1306هـ فأجاب وقال:

وسألتم عن حال شتائنا وربيعنا. فيا أخي إن درجة البرد في الشتاء هنا كبرد الربيع في بغداد، وها نحن في شباط وهو بدرجة

---

(1) في الأصل: «يتناوبون إليها».
(2) هو السيد مصطفى الألوسي الذي استوزر في الحكومة العراقية. وتوفي في 5 ذي القعدة سنة 1344هـ.

مايس في بغداد. فعلى هذا يقتضي أن يكون الصيف متناهي الحرارة والحال أني عند ورودي إلى هنا كان الوقت صيفاً ورأيته أهون بدرجات من صيف بغداد، فما أدري ما الحكمة في ذلك»؟.

ثم كتب لي مرة أخرى يشكو شدة الحر، ويذكر أنه لم ير مثله في بغداد حتى بلغ قرب خمسين درجة.

وكتب لي عند وصوله: «إني بخير وعافية، واستراحةٍ وجودٍ وافية. ولم أتكلف في الطريق إلّا من الحرّ، وقد اندفع بوصولي جميع مشاق السفر. وعلى ما يدّعي أهل الإحساء أن هذا الوقت أحسن أوقات الهفوف ماءً وهواء وفاكهةً. وحيث إني بعدُ لم يستقرَّ بين المقام فيها ولم أقف على حال البلد وحال أهاليه لا يسعني مدحه ولا ذمّه، وهيأة وضع بنائه ودوره أشبه شيء بهيأة (بعقوبة) إلا أن هذه البلدة أكبر وأوسع، وهي مسورة بسورين فيما بينهما دور وأزقّة وأسواق يعني قصبة في ضمن قصبة: كل منهما مستقل بسوره وبدنه. ولا أذكر لك حال دار حكومتها وهيأة محكمتها فإن دار الحكومة عبارة عن طبقةٍ واحدة شبيهة بالخانات التي بطبقة واحدة وحجر الدوائر كلها أرضية[1]... الخ».

وأعظم العوارض الطبيعية في هذه الخطة كثبان الرمل، فإنها تتحول من محل إلى محل، وتنتقل من مكان إلى مكان عند هبوب

(1) أي غير مبلطة.

الرياح والعواصف فتدمر كل شيء تمرّ عليه. . وأكثر أراضي هذه الخطة صحار وقفار خالية عن المياه والسفر فيها يشق.

وليس فيها غابات تليق بالذكر، والأهالي يوقدون السعف وأغصان الشجر والشوك والطرفاء والغضى. . وهكذا حال بلاد نجد.

بيان إدارة هذه الخطة الحاضرة

إعلم أن الدولة العثمانية أيّدها الله ووفقها لمراضيه، بعد استيلائها على هذه الخطة جعلتها لواء - وهو في عرفهم دون الولاية، فإن اللواء يكون تحت إدارة حاكم يسمى المتصرف ويرجع في أموره إلى والي الولاية. و«القضاء» هو عبارة عن عدّة قرى تكون بإدارة حاكم يقال له: «القائم مقام» يجلس في إحدى القرى والقصبات المختصة بحكمه ويرجع في مهام أموره إلى المتصرف. ودون القضاء «الناحية» وهي عبارة عن بعض القرى الصغيرة المتجاورة يجلس حاكم صغير في واحدة منها ويسمى «المدير» ويرجع في مهام أموره إلى القائم مقام.

وهذه أمور اصطلاحية، اصطلحت الحكومة على وضع هذه الأسماء لتلك المسميات ولا مشاحة في الاصطلاح.

فلما دخلت هذه الخطة تحت حكم الدولة جعلوها لواء وعيّنوا لها متصرفاً، وهذا اللواء مؤلف من قضاء القطيف، وقَطَر،

والهفوف. ومركز المتصرفية الهفوف، والقطيف مركز قائم مقام، وهو على ساحل البحر على بعد أربعين ساعة من مركز اللواء، وهو أعظم الأقضية الثلاثة محصولاً، وأوفرها بركة، لما فيه من الخِصْب والخيرات. .

أما (قَطَر) فإنه تحت إدارة الشيخ (قاسم بن ثاني) وهو شيخ قبائل تلك الناحية، ولما أُحيلت إدارة خطة الأحساء إلى الحكومة العثمانية أبقى الشيخ المومأ إليه باسم «قائم مقام» وهو من خيار العرب الكرام، مواظب على طاعاته مداوم على عبادته وصلواته، من أهل الفضل والمعرفة بالدين المبين، وله مبرات كثيرة على المسلمين، وله مُعيّن[1] من الدولة في كل سنة. . .[2] وهو من الموالين لها، المطيعين لأحكامها. وله تجارة عظيمة في اللؤلؤ، وهو مسموع الكلمة بين قبائله وعشائره وهم ألوف مؤلفة، وبيني وبينه محبة غيبية، ومكاتبات لطيفة، أودعتها في كتاب (بدائع الإنشاء). وقد عيّن في معيته معاون. ويقيم في القطر كل وقت «طابور» من العساكر النظامية. ويرسل إليه كل سنتين ونصف حاكم شرع، ومن في معيته من المأمورين لم يزالوا يمدون أيدي العدوان على الرعايا، فكذلك وقعت وقائع بين العسكر وبين القبائل ثم آل الأمر إلى الصلح وهو إلى اليوم على طاعته وانقياده.

---

(1) المعين الراتب.

(2) بياض بالأصل.

وعدد نفوس قضاء القطر نحو عشرة آلاف نفس بتخمين الحكومة. وعدد نفوس قضاء القطيف حسب تخمينهم أربعون ألفاً. وبيوت هذا القضاء نحو عشرة آلاف بيت. وعدد بيوت القطر أربعة آلاف بيت. وقصبة الهفوف التي هي مركز اللواء محاطة بسور، وبين كل عشرين قدماً أو أكثر رابية معمولة على الأصول القديمة. وفيها من النفوس نحو أربعين ألفاً. وفيها من الدور نحو ثلاثة آلاف دار.

وفي جميع الخطة الإحسائية نحو عشرين مكتباً للصبيان يقرأون فيه القرآن العظيم ونحوه. وفيها زهاء ثلاثين مدرسة تدرس فيها الفنون العربية، والعلوم الدينية. وفيها نحو أربعمائة مسجد ما بين صغير وكبير. وفي مركز اللواء مسجد عظيم بناه (محمد باشا) أحد الأمراء العثمانيين سنة سبع وأربعين بعد الألف.

وفي الخطة الإحسائية ما يزيد على أربعة عشر ألف بستان وهي نخيل وأشجار متنوعة. وفيها زهاء ثلاثة آلاف وخمسمائة مزرعة للشلب، ومائة مزرعة للحنطة. ومن مزارع الشلب نحو أربعمائة مزرعة بعد حصاد الأرز منها تزرع حنطة.

والعقير، والمبرز، والجفر نواح مشهورة، وفيها نحو ثلاث وخمسين قرية. وليس في هذه الخطة تجارة واسعة، وغالب تجارتهم من التمر والخيل والغنم. وأما المصنوعات الإفرنجية

التي تدخل هذه الخطة فكلها من الهند. وفيها تنسج الأعبية وفيها صنعة الحدادة، ومهرة الصفارين، والكوّازون وغير ذلك والبيوت طبقة واحدة.

أخلاق أهل نجد وشمائلهم

أخلاق أهل نجد هي أخلاق العرب المحمودة، وهي: الوفاء، والغيرة، وصيانة العرض، ومحاماة الدخيل، وصدق اللهجة، والشجاعة، والفروسية، ومراعاة الحقوق والعهود، والذكاء المفرط، والحلم، وسرعة الانتقال، وحسن الخَلْق والخُلُق.

وهكذا سكنة الخطة الإحسائية، وجميع من جاور الأرض النجدية، وصورهم أحسن الصور، وتغلب عليهم السمرة.

ولغتهم أفصح لغات العرب اليوم على فسادها، ولهجتهم أحسن كل لهجة وفيهم الشعراء والأدباء والظرفاء والفصحاء.

معايش أهل نجد وأقواتهم

أهل نجد ينقسمون إلى أهل حضر، وبدويين. والحضريون قليلون بالنسبة إلى أهل باديتهم، وغالب العرب كذلك فإنهم يألفون البادية أكثر من إلفهم إلى البلاد والقرى، ولم يزالوا يمدحون البوادي في شعرهم ومنظوم كلامهم ومنثوره: قال قائلهم:

وأسري بعيس كالأهلة فوقها وجوه من ا لأقمار أبهى وأنور

ويعجبني نفح العرار وربما شمخت بعرنيني وقد فاح عنبر
ويخدش غمدي بالحمى صفحة الثرى إذا جرّ من أذياله المتحضر
فما العيش إلا الضب يحرشه الفتى وورد بمستن اليرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته على العزّ والكومُ المراسيل تنحر
ويغشى ثراه حين يستعتم القرى ويسمو إليه الطارق المتنور

فأما أهل الحضر فمعايشهم من التجارة والحرث والنخيل والبقر والغنم والزراعة والصنائع. وأقواتهم السمن وألبان البقر والغنم والحنطة والشعير والأرز والذرة والسمسم ونحو ذلك. وغالب قوتهم التمر الذي يعزّ مثله في البلاد.

وأما أهل البوادي فمعايشهم من الغنم والبقر والإبل وأكل لحومها وشرب ألبانها. وغالب معايشهم على اليرابيع والأرانب ونحو ذلك.

وأهل نجد عموماً يأكلون الجراد بل هو أحسن ما يدّخرونه لأقواتهم وألذ ما يصطفونه لأنفسهم. وهكذا سكنة الخطة الإحسائية. فقد أخبرني الأخ ـ وهو يومئذ هناك ـ أنه منذ أيام جاءت إلى هذه الديار رجل[1] جراد عظيم أحمر أجسم جرماً بقليل من جراد العراق. وهو مع كونه قد أضر بزروع الإحساء وأكل بعضها عن آخره غير أن الأهالي فرحوا به فرحاً شديداً لأكلهم له ولم يبق أحد من الأهالي من رفيع ولا وضيع إلّا وقد خرج

(1) الرجل: القطعة العظيمة من الجراد وهو جمع على غير لفظ المفرد.

لصيده، فمسك كلٌّ على قدره، وحملوها الحمير وأتوا بها إلى بيوتهم فطبخوه بالملح ثم يبّسوه وادّخروه، وقد هانت أسعار كل شيء بواسطته ولم يترق إلّا الملح قال: وإني أردت أكل جرادة واحدة لأتعرف طعمه فما قدرت ومعاذ الله أن تقبله نفسي. فسبحان من غاير بين الطباع والأمزجة. انتهى.

ولهم رغبة عظيمة في شرب شراب البنّ، وهم يحسنون عمله ويجيدونه كلَّ الإجادة. وعليه قول القائل:

يقول: شراب البنّ فيه مرارة	وشربة صافي الشهد ليس لها مثل!
فقلت: على ما عبته بمرارة	قد اخترته فاختر لنفسك ما يحلو!

والبنّ[1] يأتيهم من قبل الهند ويصرف قسم عظيم منه في بلادهم. وليس لأهل نجد كبير رغبة في السياحة والسفر إلى البلاد البعيدة كبلاد الإفرنج وما شاكلها، ولذلك ترى المحترفين بالتجارة أقل من غيرهم.

زيُّ أهل نجد ولباسهم وزينتهم

أهل نجد الحضريون لباسهم الثياب والأقبية والعباءة. وأهل العلم منهم يلبسون في رؤوسهم العمائم المحنكة، وسائر الناس

(1) انظر تاريخ عهد الناس به، وصفاته الطبيعية وخواصه، ورأي الفقهاء في شربه، ومقاطيع الأدباء في مدحه، في رسالة (الشاي والقهوة والدخان) تأليف العالم المصلح الكبير السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي رحمه الله.

يلبسون (العُقُل)[1] فوقَ نحوِ شملة في أرجلهم النعال. ويحملون العصيّ بأيديهم في الغالب، وذلك من السنن المحمودة، ويتطيبون بأحسن الطيب كالمسك والعنبر. ويواظبون على خصال الفطرة المشهورة. والورس ـ وهو نبت طيب الرائحة ـ من زينة نسائهم؛ وكذا الحلي كالقرط ونحوه. ولهم مزيد رغبة في الطيب واستعماله، وذلك من علائم طيب نفوسهم وشرفها فلا يميل إلى الطيب إلا الطيّب. والزي المذكور ليس من خصائص أهل نجد، بل مثلهم في ذلك سكنة الإحساء وعُمان، بل وسائر العرب.

دين أهل نجد ومعتقداتهم وأعمالهم

إعلم أن أهل نجد كلهم مسلمون موحدون، بل وجميع سكنة جزيرة العرب، وقد دخلوا في الإسلام في العصر الأول عند ظهور أنوار الشريعة الغراء.

وهم على عقائد (السلف الصالح) فهم يعتقدون أن الله تعالى قديم واحد لا شريك له في ملكه ولا ندّ ولا ضدّ ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع إلّا من بعد إذنه، وإنه عز اسمه لا والد له ولا ولد ولا كفء ولا نسب بوجه من الوجوه ولا زوجة؛ وأنه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شيء مما يحتاج

(1) يقال إن العقال كان لباس قدماء المصريين، وأهالي مملكة اليمن السبئية كما دلّت عليه التماثيل التي عثر عليها في جنوب الجزيرة وفي أعماق بلاد اليمن.

إليه خلقه بوجه من الوجوه، وأنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسِنَةِ والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك، وأنه لا يمثاله شيء من مخلوقاته، بل ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ وأنه لا يحلّ بشيء من مخلوقاته ولا يحلّ في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه، وأنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعالٍ على كل شيء البتة، وأنه قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء يريده بل هو فعّال لما يريد؛ وإنه عالم بكل شيء يعلم السرّ وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبةٍ في ظلمات الأرض ولا رَطْبٍ ولا يابس ولا متحرك ولا ساكن إلا وهو يعلمه على حقيقته، وإنه سميع بصير: يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات، على تَفَنُّن الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، قد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته بجميع البريات، وعمّت رحمته جميع المخلوقات، ووسع كرسيه الأرض والسموات. وأنه الشاهد الذي لا يغيب، ولا يستخلف أحداً على ملكه ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه أو يستعطفه عليهم أو

يرحمه لهم. وأنه الأبديّ الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشىٰ ولا يعدم ولا يموت، وإنه المتكلم المكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادي السبيل مرسل الرسل ومنزل الكتب، قائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ومجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وأنه الصادق في وعده وخيره فلا أصدق منه قيلاً ولا أصدق منه حديثاً، وهو لا يخلف الميعاد. وأنه تعالى صَمَدٌ بجميع معاني الصمدية يستحيل عليه ما يناقض صمديته وأنه قدوس سلام فهو المبرأ عن كل عيب وآفة ونقص. وأنه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه. وأنه العدل الذي لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عبادُه منه ظلماً. وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه ولا يخبر بشيء بخلافه.

هذا اعتقادهم في الإلٰه عزّ وجل.

وأما اعتقادهم في النبيّ ﷺ فهم يعتقدونَ فيه أنه: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القُرَشيّ الهاشميّ المكّي عبد الله ورسوله إلى الخلق أجمعين، نبي الرحمة وهادي الأمة. أرسله الله تعالى بالآيات الباهرة، والمعجزات الظاهرة، وكرّمه سبحانه بطهارة الأعراق، وشرّفه بما جبله عليه من مكارم الأخلاق، التي نقض بها عوائد الفطر، وباين لها جميع البشر؛ من فروسيته، وشجاعته وبأسه، ونجدته، وعزمه، وهمّته، وعلمه، وحلمه، وزهده

وعبادته، وإجابة مسألته، ورضاه، وصبره، وحمده، وشكره، وذكره، وتفكّره، واعتباره، وتبصره، وخوفه، وخشوعه، وتواضعه، وخضوعه، وكرم آبائه وجدوده، وسخائه، وجوده، وصمته، وفصاحته، وصدق لهجته، ورعايته للعهد، ووفائه بالوعد، وعدم تلوّنه، ودوام طريقته وسنّته، وإنصافه في معاملته، وتقواه، وأمانته، وشفقته، ورفقه، وحسن خَلْقه وخُلُقه، وجده، ووقاره، وضياء أنواره، وحيائه ولينه ،وثقته ويقينه، وعفوه ورحمته، وصفحه ورأفته، وقناعته وتقلله، وصدق توكّله، وحباه من الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء والكوثر، والشفاعة في المحشر، والقرآن والتلاوة، والتاج والهراوة، والسيف والقضيب، والناقة والنجيب، والاسم الحسن، والبراعة واللسن، والذكر الرفيع، والحمى المنيع، والفرع الباسق، والكتاب الناطق، والقضية والأحكام، والحنيفية والإسلام، والآيات المفصلات، والكلمات المنزلات، ومكة المحرمة، والمشاهد المعظمة، والحرَم والإحرام، وزمزم والمقام، والمشعر الحرام، والطعان والجلادة، والجمعة والجماعة، والسمع والطاعة، والصلاة المكتوبة، والزكاة المفروضة، والتهليل والآذان، وشهر رمضان، والأمر بالمعروف والقربات، والنهي عن الفواحش والمنكرات، والغلظة على الكافرين وخفض الجناح للمؤمنين، والتفضّل على المسيئين، والمعرفة بالأقدار، والرهبة

من الجبار، والسبق في الذكر، والتقدم في الأصفياء، والتأخر في البعث، والختمة للأنبياء؛ مما دلّ بمجموعه على إثبات نبوّته، وصدق مقالته، وتفضيله على جميع الخلائق والأنام، وتمييزه على سائر ولد آدم عليه السلام.

وذلك مع دلائله مفصل في كتبهم، واعتقده كل من صغيرهم وكبيرهم وكذلك يعتقدون أن إرسال الرسل حق، فهم يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، لا يفرقون بين أحد منهم. ويؤمنون بالسؤال، والبعث، والحشر، والنشر، والجنة، والنار، وبجميع ما أنزل الله على رسوله ﷺ مجملاً وتفصيلاً. وتفصيل ذلك في كتبهم أيضاً.

وجميع أهل نجد على اختلافهم في القبائل كما أنهم يعتقدون ما سبق كذلك يعتقدون في الآل والأصحاب، ما وردت به السنة والكتاب، ويؤمنون بما ورد في شأنهم من الفضائل، وما روي عنهم من الشمائل، غير أنهم طووا بساط المماراة في آل رسول الله ﷺ وأصحابه، وتركوا العصبية التي هي من أوتار الباطل وأطنابه، فأولئك الآل الكرام هم الذين يتميز بحبهم إيمان المرء من نفاقه، والذين ورثوا النور المبين عمّن خصه الله بإشراقه. فالصلاة بهم تمامها وبالصلاة عليهم ختامها، ورحمهم موصولة برحم المكارم وذمامها. وأولئك السادات من الأصحاب الذين خلطهم بجلدته وألظَّ بهم في شدته، أحبوا فيه وأبغضوا، وأنفقوا

له وأقرضوا، وفرض عليهم الصبر معه على البأساء فما أعرضوا: ولكل من هذين الفريقين مقام معلوم، وسهم في السبق والفضيلة غير مسهوم. ولم يزل أمراؤهم وعلماؤهم يأمرون بالأخذ على ألسنة السفهاء من الخوض فيما شجر بين آل النبي وأصحابه، وإظهار العصبية التي تزحزح الحق عن نصابه، وترجعه على أعقابه، وليس مستندها إلا مغالاة ذوي الجهل، وربما نشأ منها فتنة والفتنة أشدّ من القتل، فأولئك السادات هم النجوم الذين كان بهم الاقتداء، وبهم كان الاهتداء، وقُصَارى المسلم في هذا الزمان أن يعتلق منهم سبباً، ويأخذ عنهم ديناً وأدباً، لا يُبْلَغُ مُدُّ أحدِهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أُحُدٍ ذَهباً، نعم: لا يغالون في حبهم كحب أهل البدع والضلالة، فذلك الذي ما أنزل الله به من سلطان ولا اقتضته الرسالة.

والحاصل أن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وأن طريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم، بل الأحكم، وهي أنهم يُقرّون آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها ويكلون معناها إلى الله تعالى كما قال الإمام مالك في الاستواء، ويعتقدون أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى ولا يكون في ملكه إلا ما أراد وأن العبد لا يقدر على خلق أفعاله بل له كسب يترتب عليه الجزاء. وأن الثواب فضل، والعقاب عدل، ولا يجب على الله لعبده شيء. وأنه يراه المؤمنون في الآخرة بلا كيف ولا إحاطة.

وأنهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ولا ينكرون على من قلد أحداً من الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذهب الغير كالشيعة والزيدية والكرامية ونحوهم.

وأنهم لا يستحقون مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد يدَّعيها عليهم غير أنهم في بعض المسائل إذا صحّ لهم نص جليّ من كتاب أو سُنّة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذوا به وتركوا المذهب كإرث الجدة والأخوة فإنهم يقدمون الجد بالإرث وإن خالف مذهب الحنابلة.

ولا يفتشون مذهب أحد؛ ولا يعترضون إلّا إذا اطّلعوا على نصّ جليّ مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر كأمر الصلاة فإنهم يأمرون الحنفية والمالكيةَ مثلاً بالمحافظة على نحو الطُمَأْنينة بالاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة فلا يأمرون بالإسرار، وشتان بين المسألتين! فإذا قوي الدليل أرشدوهم إلى النص وإن خالف المذهب وذلك إنما يكون نادراً.

ولا مانع عندهم من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق. وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين لتقليد صاحبه.

ثم إنهم يستعينون على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة

المعتبرة. ومن أجلّها لديهم (تفسير ابن جرير) ومختصره (لابن كثير) وكذا (البغوي) و(البيضاوي) و(الخازن) و(الحدادي) و(الجلالين) وغيرها.

وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاريّ، والنوويّ على مسلم، والمناوي على الجامع الصغير. ويحرصون على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها. ويستعينون بسائر كتب المذاهب في سائر الفنون أصولاً وفروعاً وقواعدَ ونحواً وصرفاً، وجميع علوم الآلة ولا يتلفون من المؤلفات شيئاً أصلاً، إلّا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك (كروض الرياحين) أو يحصل بسببه خلل في العقائد. على أنهم لا يفحصون عن مثل ذلك إلا إذا تظاهر به صاحبه معانداً. وما اتفق عليه بعض البدو في إتلاف بعض الكتب إنما صدر منه لجهله. وقد زُجر هو وغيره عن مثل ذلك.

ولا يرون سبي العرب ولم يفعلوه ولم يقاتلوا غيرهم ولم يروا قتل النساء والأطفال وأما ما يكذب عليهم ستراً للحق، وتلبيساً على الخلق، بأنهم يفسرون القرآن برأيهم ويأخذون من الحديث ما وافق فهمهم من دون مراجعة شرح ولا معوّل على شيخ، وأنهم يضعون من رتبة النبي ﷺ، وأنه ليس له شفاعة وأن زيارته غير مندوبة، وأنهم لا يعتمدون أقوال العلماء، وأنهم يتلفون مؤلفات أهل المذاهب لكون الحق والباطل فيها، وأنهم مجسمة، وأنَّهم

يكفّرون الناس على الإطلاق من بعد الستمائة إلى هذا الزمان إلا من كان على ما هم عليه، وأنهم لا يقبلون بيعة أحد إلّا إذا أقرّ عليه أنه كان مشركاً وأن أبويه ماتا على الشرك بالله وأنهم ينهون عن الصلاة على النبي ﷺ، وأنهم يحرمون زيارة القبور المشروعة مطلقاً، وأنهم لا يرون حقاً لأهل البيت، وأنهم يجبرونهم على تزويج غير الكفء لهم - إلى غير ذلك من الافتراءات؛ فكل ذلك زور عليهم وبهتان وكذب محض من خصومهم أهل البدع والضلال. بل أقوالهم وأفعالهم وكتبهم على خلاف ذلك كله. فمن روى عنهم شيئاً من ذلك أو نسبه إليهم فقد كذب عليهم وافترى، ومن شاهد حالهم وحضر مجالسهم وتحقق ما عندهم علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه عليهم وافتراه أعداء الدين، وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الإذعان لإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نصّ الله على أنه لا يغفره وأنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء. فإنهم يعتقدون أن من فعل أنواعاً من الكبائر: كالقتل للمسلم بغير حق والزنى والربا وشرب الخمر، وتكرر منه ذلك لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يخلد في دار الانتقام، إذا مات موحداً لله تعالى في جميع أنواع العبادة. . . والذي اعتقدوه في رتبة النبي ﷺ أن رتبته أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، إذ هو ﷺ أفضل منهم

بلا ريب. وأنه يسمع سلام من يسلم عليه، وأنه تسنُّ زيارته غير أنه لا تشدّ الرحال إلّا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق أنفس أوقاته بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه وغمه كما جاء في الحديث.

وإنهم لا ينكرون كرامات الأولياء ويعترفون لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، غير أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادة لا حال الحياة ولا بعد الممات. بل يطلبون من أحدهم الدعاء في حال الحياة، بل ومن كل مسلم، فقد جاء في الحديث «دعاء المرء مستجاب لأخيه» ويثبتون الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة حيثما ورد وكذا سائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حيثما ورد أيضاً.

ويسألونها من الله تعالى المسالك لها والآذن فيها لمن شاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد. فإنهم يقولون متضرعين إلى الله تعالى: اللَّهُمَّ شفّع نبينا محمداً ﷺ فينا يوم القيامة أو عبادك الصالحين أو ملائكتك ونحو ذلك. ولا يلزم أن يكونوا مجسمة وإن قالوا بالجهة كما ورد الحديث بها. ويقولون فيمن مات ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾. ولا يقولون بكفر من صحت ديانته واشتهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده، وحسنت سيرته وبالغ في نصح الأمة وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها (كابن حجر

الهيتمي المكي) رحمه الله، فإنهم يعلمون كلامه في (الدر المنظم) ولا ينكرون سعة علمه، ولهذا يعتبرون ما بقي من كتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرها، ويعتمدون على نقله.

هذا ما هم عليه. وقد كتبوا في ذلك عدة رسائل خاطبوا بها من له عقل وعلم وهو متّصفٌ بالإنصاف، خالٍ من الميل إلى التعصب والاعتساف؛ ينظر ما يقال، لا إلى من قال.

وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته سواء كان حقاً أو غير حق مقلداً فهو ممن قال «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» عادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال، لا الرجال بالحق، فلا يخاطب هذا وأمثاله، فجنود التوحيد بحمد الله منصورة، وراياتهم بالسعد والإقبال منشورة.

وما كتبناه في هذا الحاصل هو مضمون رسالة كتبها أحد فضلاء علماء نجد وهو الشيخ (عبد الله ابن العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) عليهم الرحمة، وقد قرِئت بعد دخول الأمير (سعود) في (الحرمين) الشريفين[1] بمحضر علماء المذاهب الأربعة وبمسمع منهم. فمن الواجب على طالب معرفة الحق وإدراك الحقائق أن لا يبادر بالإنكار قبل التبصّر، ولا يحكم على شيء قبل

---

(1) وذلك عام 1218هـ وقد طبعت رسالة الشيخ عبد الله ورسائل أخرى لعلماء نجد في مطبعة المنار بمصر سنة 1342 في مجموعة تسمى (الهدية السنية).

الوقوف على حقيقة الحال، فالخطأ في ذلك عظيم.

فـلا تـحـكـم بـأول مـا تـراه فـأول طـالـع فـجـر كـذوبُ

والقصد بما ذكرناه التنبيه على خطأ من نسب إلى القوم ما هم بريئون منه مما يخلّ بالديانة حتى أساء الظن بقسم عظيم من الأمة العربية وانطوى على بغضهم الذي هو من أعظم أسباب النفاق.

وغالب من أشاع ذلك هم أهل البدع والأهواء الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وكذبوا بأقوالهم وأفعالهم على الدين المبين الذي هو بعيد عنهم بمراحل. وهم الدجالون الجالبون على الإسلام كل عار، وإلا فأهل الإيمان هم الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه.

ذكر مناظرة جرت بين عراقي ونجدي[1] تحريراً

هذه مناظرة اتفقت بين شيخ عراقي من سكنة بغداد، وبين فاضل كامل وعالم عامل؛ من علماء نجد: كتب بها العراقيّ إلى العالم النجديّ، فأجاب عنها بما سيأتي:

ولكونها تزيد الحق وضوحاً والواقع بياناً أدرجناها على سبيل التلخيص والاختصار، لينجلي بها الحق المستور، ويرد بها الباطل

(1) العراقي هو الشيخ داود بن سليمان بن جرجيس صاحب كتاب (صلح الإخوان). والنجدي: هو العالم الشهير الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، مؤلف كتاب (منهاج التأسيس والتقديس، في كشف داود بن جرجيس).

المشهور، رجاء الفوز بثواب ذلك إن شاء الله تعالى.

قال العراقي السائل:

لم تكفّرون ـ يا أهل نجد ـ المسلمين، وعباد الله الصالحين، وتعتقدون ضلالهم، وتبيحون قتالهم؟ واستبحتم الحرمين الشريفين وجعلتموها دار حرب؟ واستحللتم دماء أهلهما وأموالهم، وجعلتم دار مسيلمة الكذاب هي دار الهجرة ودار الإيمان مع ما ورد فيها من الحديث: أنها مواضع الزلازل والفتن؛ لما طلب أهل نجد الدعاء لأرضهم. والتكفير أمر خطير، حتى أن أهل العلم ذكروا أنه لو أفتى مائة عالم إلّا واحداً بكلمة كفر صريحة مجمع عليها، وقال عالم واحد بخلاف أولئك يحكم بقول الواحد ويترك قول غيره حقناً للدماء، فلم لا تتبصرون في أمور دينكم، ولا تراقبون وقوفكم بين يديْ بارئكم. وتركتم الناس سالمين من ألسنتكم وأيديكم؟

قال العالم النجدي المجيب:

أيها العراقيّ ليس الأمر كما علمت أنت وأمثالك، بل أنتم في لبس مما نحن عليه، وعسى أن يزول ذلك عنكم إذا صادف ما أكتبه لكم قلوباً سالمة من داء الغباوة. فأقول: أركان الإسلام خمسة: أولها الشهادتان. ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرّ بها أحد وتركها تهاوناً، فنحن ـ وإن قاتلناه على فعلها ـ فلا نكفره

بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود. ولا نقاتل وإلّا على ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان. وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر. فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهره للناس وأقرّ أيضاً أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر الذي هو دين غالب الناس أنه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك؛ فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول، فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك كله ولكنه تبين في سب دين الرسول مع ادّعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبد غير الله وغالى في أوليائه وفضلهم على من وحّد الله وترك الشرك؛ فهذا أعظم من الأول وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾.

النوع الثالث: من عرف التوحيد واتّبعه وعرف الشرك وتركه

ولكن يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك فهذا أيضاً كافر، فيه قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾.

النوع الرابع: من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده مصرّحون بعداوة التوحيد، واتّباع أهل الشرك وساعون في قتالهم ويتعذر عليه ترك وطنه ويشقّ عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضاً كافر. فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان ولا يمكنه الصيام إلّا بفراقهم فعل، ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك إلا بمخالفتهم فعل. وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يرون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير فهذا أيضاً كافر، وهو ممّن قال الله تعالى فيه: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾.

هؤلاء الذين نكفرهم لا غير. وأما القول بأنا نكفر الناس عموماً ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل. سبحانك هذا بهتان عظيم!

فقد ذكرنا لك أيها السائل ما يكشف عنك غطاءك لو كان لك بصر ثاقب وفكر سديد وفطنة كافية تأخذ بيدك من أوهام الحيرة وظلمات الوساوس. والله وليّ التوفيق.

وأما ما ذكره السائل من (استباحة الحرمين الشريفين) فٱعلم أيها السائل الفاضل أن هذا من الكذب والبهت البين ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ لم يقع فيهما قتال بحمد الله فضلاً عن الاستباحة، وإنما دخلهما المسلمون في حالة أمن وصلح وانقياد من شريف مكة ورؤساء المدينة وجلس المشايخ منا بالحرمين الشريفين للتعليم والتدريس، وكتبت الرسائل في بيان التوحيد والتنزيه والتقديس حتى جاءت العساكر فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً.

وأما الأموال التي أُخذت من الحجرة الشريفة لم تؤخذ ولم تصرف إلا بفتاوي أهل العلم من سكان المدينة ووضع خطوطهم بذلك. وحاصل ما كتب: إن هذه الأموال وضعت توسعة لأهل المدينة وصدقة على جيران رسول الله ﷺ وأُرصدت لحاجتهم وأُعدّت لفاقتهم ولا حاجة برسول الله ﷺ إليها وإلى اكتنازها وادّخارها في حال حياته، فضلاً عن حال مماته، وقد تقطّعت أسباب أهل المدينة ومرّتباتهم بمنع الحاج في تلك السنة فأخرجت تلك الأموال لما وصفنا من الحال باطّلاع وكيل الحرم وغيره من أعيان المدينة وغيرها. وما وقع من خيانة وغلول لا تجوز نسبته

إلى أهل العلم والدين أو أنهم راضون أو غير منكرين له. ولا يجوز أن يسمى ما وقع استباحة للحرمين كما ذكرت أيها السائل. كيف وقد وقع من تعظيم الحرمين وكسوة الكعبة الشريفة وتأمين السبل والحج إلى بيت الله وزيارة الحرم الشريف النبوي ما لا يخفى على منصف عرف الحال، ولم يقصد البهت والضلال!

وأما الاستدلال على صلاح أهلها بشرف تلك البقعة فهو استدلال مَنْ غربت عنه أدلة الشرع وقواعده، وغابت عنه عهود الكتاب العزيز ومواعده، وصار من حسبة الغوغاء والعامة. ولا حاجة لنا إلى تعداد من كفر بآيات الله وصادم رسهل ورد حججه من أهل الحرمين، ولا إلى تعداد من في بلاد الحبشة والهند وبلاد الفراعنة كمصر وبلاد الصابئة كحران وبلاد الفرس المجوسية، من أهل العلم والإمامة والفقه والدين. وفضل الحرمين لا يشك فيه من له أدنى إلمام بما جاءت به الرسل الكرام ولكن ليست فيه حجة على تحسين حال أهلها مطلقاً؛ وقد قال (سلمان الفارسي) رضي الله تعالى عنه لأبي الدرداء لما دعاه إلى الأرض المقدسة ورغَّبه فيها: إن الأرض لا تقدس أحداً. قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي مصر والشام. فإن كان في شرف البقاع حجة ودليل على صلاح أهلها فليكن هنا. وبنو إسرائيل في الأرض المقدسة وهم سكان (ايليا) و(المسجد الأقصى) وقد جرى منهم من الكفر والتكذيب وقتل

الأنبياء ما لا يخفى على من أنس شيئاً من أنوار النبوّة والرسالة.

ثم استدلال أهل اليمن على حسن حالهم مطلقاً بحديث: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» وحديث: «أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً، وألين أفئدة» أظهر من الاستدلال بشرف البقاع على عدم ضلال أهلها، لأن حديث «الإيمانُ يأرزُ إلى المدينة»[1] يصدق ولو على البعض، والأول أدلّ على العموم، ولو احتجّ (الأسود العنسي) وأمثاله على حسن حالهم بما تقدم لكان جوابه جواباً لنا، وقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

إيضاح المراد من مواضع الزلازل والفتن:

أيها السائل إنك لمّحت إلى أن المراد من مواضع الزلازل والفتن هي أرض نجد وبلادها، واتخذت ذلك سهماً رميت به من سكن هذه الخطة، ونحن نعذرك في ذلك حيث لم تقف على معنى الحديث. وبعد بيانه نرجو من لطف الله تعالى أن تذعن أنت وأضرابك للحق إن كنت من أهل الفهم والإنصاف.

---

(1) ويروى (أن الإسلام ليارز إلى المدينة كما تارز الحية إلى جحرها) الأرز: اللواذ والرجوع. قال الضرير في تفسير الحديث: الأرز أيضاً أن تدخل الحية جحرها على ذنبها فآخر ما يبقى منها رأسها فيدخل بعد، وكذلك الإسلام خرج من المدينة فهو ينكص إليها حتى يكون آخره نكوصاً كما كان أوله خروجاً. قال: وإنما تآرز الحية على هذه الصفة إذا كانت خائفة وإذا كانت آمنة فهي تبدأ برأسها فتدخله وهذا هو الانجحار (التاج).

أما الحديث فهو قوله ﷺ في الدعاء: «اللَّهُمَّ بارك لنا في شامنا وفي يمننا». قالوا وفي نجدنا يا رسول الله، فكررك ثلاث مرات يدعو للشام واليمن وهم يقولون: وفي نجدنا. فقال في الرابعة: «تلك مواضع الزلازل والفتن» وقد استجيبت دعوته ﷺ، وحصل من البركات بسبب هذه الدعوات في الشام واليمن ما هو معروف ومشهور. وهل دوّنت الدواوين، ووضع العطاء، وجنّدت الجنود، وارتفعت الرايات والبنود، إلا بعد إسلام أهل اليمن وأهل الشام، وصرف أموالهم في سبيل الله؟ ولكن لا يحتج به على صلاح دين أهلهما إلّا من عزبت عنه الحقائق، وعدم الفهم لأصول الدين فضلاً عن الفروع والدقائق، وقد تقدم قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ وجمهور أهل نجد كتميم، وأسد، وطيّء، وهوازن، وغَطَفَان، وبني ذُهْل بن شيبانَ؛ صار لهم من الجهاد في سبيل الله، والمقام بالثغور، والمناقب والمآثر، لا سيما في جهاد الفُرس والروم ما لا يخفى على من له أدنى إلمام بشيء من العلوم، ولا ينكر فضائلهم إلّا من لم يعرف جهادهم وبلاءهم في تلك المواطن. ولا يشك عاقل أنهم أفضل من أهل الأمصار قبل استيطان الصحابة وأهل العلم والإيمان. وأما بعد ذلك فالفضل والتفضيل باعتبار الساكن يختلف، وينتقل مع العلم والدين. فأفضل البلاد والقرى في كل وقت وزمان أكثرها علماً، وأعرفها بالسنن والآثار النبوية. وشرّ

البلاد أقلّها علماً، وأكثرها جهلاً وبدعةً وشركاً. وأقلها تمسكاً بآثار النبوة وما كان عليه السلف الصالح. فالفضل والتفضيل يعتبر بهذا في الأشخاص والسكان، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ وكما أن الحسنات تضاعف في البلد الحرام فكذلك السيئات تضاعف لعظيم حرمته وفضيلته. وقد جاء في فضل بعض أهل نجد كتميم: ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: «أحب تميماً لثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ: قوله لما جاءت صدقاتهم: هذه صدقات قومي. وقوله في الجارية التميمية: اِعتقها فإنها من ولد إسماعيل. وقوله: هم أشد أمّتي على الدجال» هذا في المناقب الخاصة. وأما العامة للعرب فلا شك في عمومها لأهل نجد لأنهم من صميم العرب.

وما ورد في تفضيل القبائل والشعوب أدلّ وأصرح في الفضيلة مما ورد في البقاع والأماكن في الدلالة على فضل الساكن والقاطن. ومعلوم أن رؤساء عباد القبور الداعين إلى دعائها وعبادتها لهم حظ وافر مما يأتي به الدجال. وقد تصدّى رجالٌ من تميم وأهل نجد للرد على دجاجلة عباد القبور الدعاة إلى تعظيمها مع الله تعالى. وهذا من أعلام نبوّته ﷺ، إن قلنا إن (أل) في الدجال للجنس لا للعهد، وإن قلنا إنها للعهد ـ كما هو الظاهر ـ

فالرد على جنس الدجال توطئة وتمهيد لجهاده ورد باطله، فتأمله فإنه نفيس جداً.

وليت غيرك أيها السائل تكلم بهذا الكلام فإن بلادك ـ أعني العراق ـ معْدِن كل محنة وبلية، ولم يزل أهل الإسلام منها في رزية بعد رزية، فأهل حروراء وما جرى منهم على أهل الإسلام لا يخفى، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الإسلام إنما خرجت ونبغت بالعراق. والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به، واشتهر من أصولهم الخمسة التي خالفوا بها أهل السنة، ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء في توحيد الربوبية غاية يسقط بها الأمر والنهي؛ إنما نبغوا وظهروا بالبصرة. ثم الرافضة والشيعة وما حصل فيهم من الغلوّ في أهل البيت، والقول الشنيع في عليّ والأئمة، ومسبة أكابر أصحاب رسول الله ﷺ، كل هذا معروف مستفيض عن أهل بلادك! أفلا يستحي أهل هذه العظائم من عيب أهل الإسلام ولمزهم بوجود (مسيلمة) في بلادهم؟ أما سمعت ما رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمر (رض) أن النبيّ ﷺ قال: «دخل إبليس العراق فقضى فيها حاجته ثم دخل الشام فطردوه ثم دخل مصر فباض فيها وفرّخ وبسط عبقريه»؟ والعراق قبل الإسلام هي محل المجوس، وعباد النيران والبقر. فإن قيل طهرت بالفتح والإسلام، قلنا: فما بال اليمامة لا تطهر بما أظهر الله فيها من الإسلام، وشعائره العظام، وجهاد أعداء الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام؟

هذا كله ـ أيها السائل ـ لو سلمنا أن المراد بنجد في الحديث القطعة الشهيرة مع أن الأمر ليس كما فهمت أنت وأضرابك. بل المراد بنجد في هذا الحديث وأمثاله هو العراق لأنه يحاذي المدينة من جهة الشرق يوضحه أن في بعض طرق هذا الحديث «وأشار إلى العراق».

قال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها فهي مشرق أهل المدينة، وأصل نجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها. وقال الداودي: إن نجداً من ناحية العراق. ذكر هذا الحافظ ابن حجر. ويشهد له ما في مسلم عن ابن غزوان سمعت سالم بن عبد الله، سمعت ابن عمر يقول: «يا أهل العراق ما أسألَكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة! سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من هاهنا. وأومأ بيده إلى المشرق» فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل العراق لأن النبي ﷺ فسّر المراد بالإشارة الحسّية، وقد جاء صريحاً في الكبير للطبراني النصّ على أنها العراق. وقول ابن عمر، وأهل اللغة، وشهادة الحال؛ كل هذا يعيّن المراد.

وأما قولك أيها السائل «لو أفتى مائة عالم إلّا واحد بكلمة كفر صريحة مجمع عليها وقال عالم بخلاف أولئك يحكم بقول الواحد: الخ» فما يستوجب الأسف عليك حيث كنت بهذه المنزلة من معرفة دينك! أما علمت أن المحتج به في العقائد والأعمال

إنما هو الكتاب والسُنّة والإجماع والقياس؟ فهذا الدليل من أي واحد من الأربعة؟ ومن عرف ما في الدعوى من العموم والإجماع على خرق الإجماع، حمد الله تعالى على السلامة من داء الجهل. ثم هذا العدد المخصوص أهو غاية وحدّ لا يجوز أن يتجاوزه أحد؟ أو هو مبالغة وتهور لا يبالى به عند التحقيق والتصور قوم هذا حاصل بحثهم ونهاية إقدامهم؟ وأما قوله ﷺ: «اِدرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم» فهو ليس مما نحن فيه، فإن الخلاف ليس من الشبهة ولا يلتفت إليه، إذا خالف الكتاب والسنة أو الإجماع. هذا باتفاق المسلمين لا يشكل إلا على الأغبياء. وإطلاق القول بأن الخلاف شبهة يعود على الإسلام بالهد والهدم، والتسجيل على عامة العلماء بالعيب والذم، فقلَّ حكم من الأحكام الاجتهادية إلّا وفيه خلاف. ومن المعلوم أنه جاء الخبر النبويّ أن هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة وتختلف في دينها. والعلماء مجمعون على القول بهذا، وأنه لا يلتفت إلى كل خلاف لا سيما ما خالف النصوص والإجماع، وأفتوا بهذا في مسائل لا تحصى في أصول الدين وفروعه. فلو كان وجود الخلاف من الشبه لحكمنا بضلالتهم في ذلك كله وهم مجمعون على عكس ما قال السائل. ولو أفتى ألوف بما يخالف النصوص فهم في جانب النص والحجة ولو مع واحدٍ من الألوف. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا تستوحش من الطريق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل

لكثرة الهالكين. وأحسن منه وأدلّ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فبطل الاحتجاج بالأكثر في الأصول والفروع. وما أحسن ما قيل:

وليس كل خلاف جاء معتبراً ... إلا خلاف له حظّ من النظر

قال السائل:

يا أهل نجد ألم تعلموا أن من كفّر المسلمين هو من جملة المارقين؟ فما بالكم اقتديتم بالخوارج، وسلكتم المسالك والمناهج .ووافقتم مذهبهم الباطل واعتقادهم العاطل. حيث قال أولئك: «لا حكم إلّا لله» وقلتم «لا يعبد إلّا الله» وكل من الكلمتين حق أريد بهما باطل وتضليل الأمة المحمدية؟؟

قال المجيب:

أيها السائل! لو عرفت حقيقة الحال، لما صدر منك هذا المقال، فأين أهل الإسلام والتوحيد الذين يكفّرون من عبد الأنبياء والأولياء والصالحين، ودعاهم مع الله؛ من الخوارج الذين يكفرون أهل القبلة والإيمان؟

وكأنّ عبَدةَ القبور عندك أهلُ سنة وجماعة! ليس الأمر كما ظننت، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة.

ولا بدَّ من الكلام على حقيقة مذهب الخوارج ومبدأ أمرهم، والكلام على مذهب عبَّاد القبور وما هم عليه، وبيان حال الشيخ

محمد رحمه الله، وتقرير مذهبه وما هو عليه في المعتقد الذي دعا الناس إليه ليعلم الواقف على ما نقرره حقيقة المذاهب، وحاصل العقائد فيما وقعت فيه الخصومة.

مذهب الخوارج ومبدأ أمرهم:

إعلم أنه لما اشتدَّ القتال (يوم صفّين) قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلّا فرقة؟ قال: نعم! قال: نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فإن أبى بعضهم أن يقبلها رأيت فيهم من يقول ينبغي لنا أن نقبلها فتكون فرقة فيهم، فإن قبلوا رفعت القتال عنا إلى أجل! فرفعوا المصاحف بالرماح، وقالوا: هذا كتاب الله عزَّ وجلَّ بيننا وبينكم! مَنْ لثُغُور الشام بعد أهله؟ من لثغور العراق بعد أهله؟ فلما رآها الناس قالوا: نجيب إلى كتاب الله. فقال لهم عليٌّ: عبادَ الله! امضوا على حقكم وصدقكم فإنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن! أنا أعلم بهم منكم، والله ما رفعوها إلّا خديعة ووهناً ومكيدة! قالوا: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبىٰ أن نقبله. فقال لهم عليّ: [فإني] إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله ونسوا عهده [ونبذوا كتابه] فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القرى: يا عليّ! أجب إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ إذا دعيتَ إليه، وإلّا دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفّان. فلم

يزالوا به حتى نهى الناسَ عن القتال، ووقع السباب بينهم وبين الأشتر وغيره ممن يرى عدم التحكيم. فقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً. فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال: إن الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن إن شئت أتيتُ معاوية. قال عليّ: ائته. فأتاه فسأله: لأي شيء رفعوا المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى أمر الله به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون به ونبعث رجلاً نرضى به فنأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله تعالى لا يعدوانه[1]. فعاد إلى علي فأخبره، فقال الناس: قد رضينا، [فـ]ـقال أهل الشام: رضينا عمرو بن العاص. وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج: رضينا بأبي موسى الأشعري، فراودهم (عليٌّ) على غيره وأراد ابن عباس. [فـ]ـقالوا: والله ما نبالي أنت كنت حكمها أم ابن عباس ولا نرضى إلا رجلاً [هو] منك ومن معاوية سواء! وألحّوا في ذلك وأبوا غير أبي موسى، فوافقهم عليّ كرهاً، وكتب كتاب التحكيم فلما قرِيء على الناس سمعه عروة بن أمية[2] أخو

---

(1) في الأصل «لا يعدون عنه».

(2) كذا في الأصل وفي تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص 96): «أذينة» وكلاهما تحريف والصواب «ادية» وهي جدة له جاهلية كما في كامل المبرد (ج 2 ص 121 و 128 ـ طبعة التقدم العلمية). وفي تاريخ ابن الأثير (ج 3 ص 220 ـ طبعة بولاق): هي أمه وهو أحد من اشتهر بالنسبة لغير أبيه، وأبو حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. ووهم صاحب اللسان في مادة (ادوا) فقال: «وادية أبو مرداس الحروري، والصواب ما حققناه ومرداس هو أبو بلال أخو عروة.

أبي بلال [فـ]ـقال: تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم إلّا لله! وشدّ بسيفه فضرب دابة من قرأ الكتاب.

وكان ذلك أول ما ظهرتِ الحرورية الخوارج، وفشت العداوة بينهم وبين عسكر علي، وقطعوا الطريق في إيابهم بالتشاتم والتضارب بالسياط. تقول الخوارج: يا أعداء الله داهنتم في دين الله. ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا وفرّقتم جماعتنا. ولم يزالوا كذلك حتى قدموا العراق، فقال بعض الناس من المختلفين: ما صنع عليّ شيئاً [ذهب] ثم انصرف بغير شيء، فسمعها عليّ، فقال: وجوه قوم ما رأوا الشام، ثم أنشد:

أخوك الذي إن أجرضتك ملمةٌ — من الدهر لم يبرح لبثك واجما
وليس أخوك بالذي إنْ تشعبتْ — عليك الأمور ظلّ يلحاك لائما[1]

فلما دخل الكوفة دخلت الخوارج إلى حروراء فنزل بها اثنا عشر ألفاً ـ على ما ذكره ابن جرير ـ ونادى مناديهم: إن أمير القتال شَبث[2] بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء[3] اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزَّ وجلَّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) عزاهما المؤلف في بلوغ الإرب وغيره إلى المرقش الأصغر، ولم يذكرهما صاحب الأغاني في روايته.
(2) في الأصل «شيت».
(3) في الأصل «كوا» وفيما يأتي «الكوى» والتصحيح من الكامل للمبرد.

فلما سمع عليّ ذاك وأصحابه قامت إليه الشيعة فقالوا له: في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء مَنْ واليت، وأعداء من عاديت. قالت لهم الخوارج: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر. كفرسيْ رهان: أهل الشام بايعوا معاوية على ما أحبّ، وأنتم بايعتم علياً على أنكم أولياء مَنْ والى وأعداء من عادى! (يريدون أن البيعة لا تكون إلّا على كتاب الله وسنة رسول ﷺ لأن الطاعة له تعالى) فقال لهم زياد بن النضر[1]: والله ما بسط عليّ يده فبايعناه قطّ إلّا على كتاب الله وسُنة رسوله، ولكنكم لما خالفتموه جاءت شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو[2] على الحق والهدى ومن خالفه ضالّ مضلّ! وبعث علي (كرّم الله وجهه) عبد الله بن عباس إلى الخوارج (وقال له لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك) فخرج إليهم فأقبلوا يكلمونه فقال: نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ الآية، فكيف بأمة محمد ﷺ [فـ]ـقالوا له ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم، وما حكم فأمضى فليس للعباد أن ينظروا فيه [حكم] في الزاني مائة جلدة، وفي السارق القطع؛ فليس للعباد أن ينظروا في هذا. قال ابن عباس: فإن الله تعالى يقول: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ قالوا [أو]

---

(1) في الأصل «النظر».
(2) في الأصل «وهم».

تجعل الحكم في الصيد والحرث، وبين المرأة وزوجها، كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالوا له: أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا؟ فإن كان عدلاً فلسنا بعدول! وقد حكمتم في أمر الله الرجال، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً، وجعلتم بينكم وبينهم الموادعة. وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقرّ بالجزية فجاء عليٌّ وابنُ عباس يخاصمهم فقال: إني نهيتك عن كلامهم حتى آتيك! ثم تكلم رضي الله تعالى عنه فقال: اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة. وقال لهم مَنْ زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. فقال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتك[1] يومَ صِفِّين. قال: أشهدكم الله[2]! أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف، وملتم بجنبهم[3]، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين؟ وذكرهم مقالته. ثم قال: وقد اشترطتم[4] على الحكمين أن يحييا ما أحياء القرآن، ويميتا ما أماتَ القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف[5] وإن أبَيَا فنحن من حكمهما براء. قالوا:

(1) في نسخة المؤلف: حكم «منك» والتصحيح من ابن الأثير.
(2) في ابن الأثير: «أنشدكم الله».
(3) في ابن الأثير: «وقلتم نجيهم».
(4) في ابن الأثير: اشترطت.
(5) في الأصل «نخالفه».

فخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ قال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكّمنا القرآن، إنما هو خطّ مسطور بين دفتين (لا ينطق)، وإنما يتكلم به الرجال! قالوا: فخبرنا عن الأجل لم جعلته[1] بينكم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويثبت العالم، ولعل الله عزَّ وجلَّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة. فأدخلوا مصركم رحمكم الله! فدخلوا من عند آخرهم.

فلما جاء الأجل؛ وأراد عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة؛ أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن المرح[2] الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي، وقالا له: لا حكم إلا لله [فقال عليّ: لا حكم إلّا لله]. فقالا له: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتله حتى نلقى ربّنا. فقال عليّ: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني [و]قد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عهوداً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ فقال حرقوص: ذلك ذنبٌ ينبغي أن تتوب منه! [فـ]ـقال علي: ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي وقد نهيتكم عنه. [فـ]ـقال زرعة: يا عليّ! لئن لم تدع تحكيم الرجال[3] لأقاتلنك أطلبُ وجه الله. فقال له علي: بؤساً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلاً

(1) في الأصل «أجعلته».
(2) في ابن الأثير «البرج» وفي ابن خلدون «البرح» ولعل الصواب ما في ابن الأثير.
(3) في الأصل «لئن حكمتم الرجال».

تسفي عليك الرياح! قال: وددْتُ لو كان ذلك! وخرجا من عنده يقولان: لا حكم إلّا لله.. وخطَب عليٌّ ذات يوم فقالوها في جوانب المسجد، فقال عليّ: الله أكبر! كلمة حق أريد بها باطل. فوثب يزيد بن عاصم المحاربيّ فقال: الحمد لله غير مودّع ربّنا، ولا مستغن عنه، اللَّهُمَّ إنّا نعوذ بك من إعطاء الدنيئة في ديننا، فإنّ إعطاء الدنيئة في الدين إدهان في أمر الله وذلّ راجع بأهله [إلى سخط الله]. يا عليّ! أبالقتل تخوّفنا؟ أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات! ثم لتعلم أيّنا أولى بها صليّاً!

وخطب عليّ يوماً آخر فقال رجال في المسجد «لا حكم إلّا لله» يريدون بهذا إنكار المنكر على زعمهم! فقال عليّ: الله أكبر! كلمة حق أريد بها باطل أما آن لكم علينا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا. وإنا ننتظر فيكم أمر الله. ثم عاد إلى مكانه من الخطبة.

ثم إن الخوارج لقي بعضهم بعضاً واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم وزهدهم في الدنيا وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم قال: اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كهوف الجبال أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلّة. فقال حرقوص بن زهير[1]

---

(1) في الأصل «زهيمان» هو تحريف.

إن المتاع في هذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتنكم[1] عن طلب الحق، وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم مُحسنون. فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم [فـ]ـولوا أمركم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد، وراية تحفون بها وترجعون إليها. فعرضوا ولايتهم على زيد بن حصين الطائيّ فأبى، وعلى حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبيا، ثم عرضوها على (عبد الله بن وهب) فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فراراً[2] من الموت. فبايعوه لعشر خلون من شوال فكان يقال له ذو الثفنات[3]. فاجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العَبْسيّ فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها وننفذ حكم الله فإنكم أهل الحق. قال شريح: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها ونُخرج منها سكانها ونبعث إلى إخواننا أهل البصرة فيقدمون علينا. فقال زيد بن حصين: إنكم إنْ خرجتم مجتمعين تبعوكم ولكن اخرجوا وحداناً ومستخفين! فأما المدائن فإنَّ بها مَنْ يمنعكم ولا تسيروا حتى تنزلوا بجسر النهروان وتكلموا إخوانكم

(1) في الأصل «ولا يكفنكم».
(2) لعل الأولى «فرقاً» أي خوفاً ـ كما في ابن الأثير.
(3) في أصل «ذي النقبات».

من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي! فكتب عبد الله بن وهب إلى مَنْ بالبصرة ليعلمهم ما اجتمعوا عليه ويحثّهم على اللحاق فأجابوه. فلما خرجوا صار شريح بن أوفى العبسي يتلو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وخرج معهم طرفة بن عدي إلى عامل عليّ بالمدينة يحذره فحذر وضبط الأبواب واستخلف عليها المختار بن أبي عبيد وخرج بالخيل في طلبهم[1] فأحبر به ابن وهب فسار على بغداد ولحقه ابن مسعود أمير المدائن بالكرخ في خمسمائة فارس فانصرف إليه ابن وهب الخارجيّ في ثلاثين فارساً له فاقتتلوا ساعة، وامتنع القوم منهم، فلما جنَّ الليلة على ابن وهب عبر دجلةَ، وصار إلى النهروان، ووصل إلى أصحابه، وتفلت رجال من أهل الكوفة يريدون الخوارج فردَّهم أهلوهم.

ولما خرجت الخوارج من الكوفة عاد أصحاب علي وشيعته إليه فقالوا: نحن أولياء مَنْ واليت، وأعداء من عاديت، فشرط لهم سنة رسول الله ﷺ، فجاء ربيعة بن أبي شداد الخثعمي فقال: أبايع على سنة أبي بكر وعمر! قال عليٌّ: ويلك لو أن أبا بكر وعمر

---

(1) كذا بالأصل والذي في ابن الأثير (ج 3 ص 145 طبعة بولاق) هكذا: «وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي فاتّبعه فلم يقدر عليه فانتهى إلى المدائن ثم رجع فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارساً فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك النبهاني وبشر بن زيد البولاني وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل علي على المدائن يحذّره أمرهم فأخذ أبواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وسار في طلبهم الخ الخ».

عملا بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على بيّن من الحق. فبايعه ونظر إليه علي فقال: أما والله لكأني بك وقد نفرتَ مع هذه الخوارج فقتلت وكأني بك وقد وطأتك الخيل بحوافرها. فكان ذلك وقُتِل يوم النهروان مع الخوارج.

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي وعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي ولحقهم بالجسر الأكبر فتوافقوا حتى حجز دونهم، وأدلج مسعر بأصحابه وسار حتى لحق بابن وهب، فلما انقضى أمر التحكيم وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، وصرَّح عمرو بولاية معاوية بعد أن عزل أبو موسى علياً، خدعه عمرو بذلك فهرب أبو موسى إلى مكة؛ قام علي في الكوفة فخطبهم وقال في خطبته:

«الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل. وأشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله. أما بعد، فإنَّ المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين - يعني أبا موسى وعمرو بن العاص - وفي هذه الحكومة أمري؛ ونحلتكم رأيي «لو كان لِقَصِيرٍ رأيٌ» ولكن أبيتم إلّا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن[1]:

(1) هو دريد بن الصمة. والبيت من قطعة له أوردها أبو تمام في باب المراثي من الحماسة.

أمـرتـهُـمُ أمـري بـمُـنْـعَـرَجِ الـلّـوىٰ فلم يَسْتبينوا الرشدَ إلا ضحى الغد

ألا إن هذين الرجلين اللذَيْن اخترتموهما حكمين قد نَبَذَا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه، بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بيّنة، ولا سُنّة قاضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبريء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. فاستعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام».

وكتب للخوارج:

«من عبد الله علي أمير المؤمنين؛ إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس.

أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيتما حكمين قد خالفا كتاب الله، واتّبعا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملا بالسُنّة ولم ينفذا للقرآن حكماً. فبريء الله منهما ورسوله والمؤمنون. فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا فإنّا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه».

فكتبوا إليه: «أما بعدُ، فإنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك. فإن شهدت على نفسك بالفكر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك؛ وإلّا فقد نابَذْناك على سواء. إن الله لا يُحبّ الخائنين».

فلما قرأ كتابهم أيس منهم، ورأى أن يَدَعَهم ويمضي بالناس إلى قتال أهل الشام. فقام في الكوفة فندبهم إلى الخروج معه، وخرج معه أربعون ألف مقاتل، وسبعة عشر من الأبناء، وثمانية آلاف من الموالي والعبيد. وأما أهل البصرة فتثاقلوا، ولم يخرج [منهم] إلّا ثلاثة آلاف، وبلغ علياً أن الناس يَرَوْن قتال الخوارج أهمَّ وأولى. قال لهم عليّ: دعوا هؤلاء، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً، ويتّخذوا عباد الله خولاً. فناداه الناس أنْ سِرْ بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.

ثم إن الخوارج استعرّ أمرهم، وبدأوا بسفك الدماء، وأخذ الأموال. وقتلوا عبد الله بن خبّاب[1] صاحب رسول الله ﷺ: وجدوه سائراً بامرأته على حمار فانتهروه وأفزعوه. ثم قالوا له: مَنْ أنت؟ فأخبرهم. قالوا: حدّثنا عن أبيك خبّاب حديثاً سمعه من رسول الله ﷺ تنفعنا به. فقال: حدّثني أبي عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً». قالوا: لهذا سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً. فقالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنه

---

(1) كان في الأصل هنا وفيما يأتي «الحباب» بالألف واللام وبالحاء المهملة. والتصحيح من كامل المبرد وكامل ابن الأثير والإصابة للحافظ العسقلاني وغيرها.

كان محقاً في أولها وآخرها. قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: أقول إنه أعلم بالله منكم، وأشدّ توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً! فأخوذه وكتفوه ثم أقبلوا به وبآمرأته وهي حبلى [متم] فنزلوا تحت نخل مثمر فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه، وقال آخر: أخذتها بغير حلها، وبغير ثمن، فألقاها. ثم مرَّ بهم خنزير فضربه أحدهم بسيفه فقالوا له هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير ـ وهو من أهل الذمة ـ فأرضاه. فلما رأى ذلك ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليَّ من بأس ما أحدثت في الإسلام حدثاً ولقد أمنتموني فأضجعوه وذبحوه! وأقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة ألا تتّقون الله؟ فبقروا بطنها! وقتلوا أم سنان الصيداوية، وثلاثاً من النساء. فلما بلغ ذلك علياً بعث الحارث بن مرة العبديّ يأتيه بالخبر، فلما دنا منهم قتلوه. فألحّ الناس على عليّ في قتالهم وقالوا: نخشى أن يخلفونا في عيالنا وأموالنا فسرْ بنا إليهم. وكلمه الأشعث بمثل ذلك واجتمع الرأي على حربهم وسار علي يريد قتالهم فلقيه منجم في مسيره فأشار عليه أن يسير في وقت مخصوص، وقال: إن سرت في غيره لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً. فخالفه عليّ فسار في الوقت الذي نهاه عنه، فلما وصل إليهم قال: اِرفعوا إلينا قتلة إخواننا نقتلهم

ونترككم فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه. فقالوا: كلنا قتَلَهم، وكلنا مستحل لدمائهم ودمائكم. وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة: فقال: عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وٱدخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين. فقال له عبد الله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر. فقال: ما نعلم غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فإني لا أرى الفتنة إلّا وقد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيوب الأنصاريّ فقال: «عباد الله إنّا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة فعلاَم تقاتلوننا؟» فقالوا: إن تابعناكم اليوم حكمتم غداً. فقال: فإني أنشدكم الله لا تجعلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل. وأتاهم علي رضي الله عنه فقال: «أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاج، وصدّها عن الحق الهوى، وطوّح بها وأصبحت في الخطب العظيم! إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضاب هذا الغائط بغير بيّنة من ربكم ولا برهان مبين، ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة، ونبأتكم أنها مكيدة، وأن القوم ليسوا بأصحاب دين! فعصيتموني فلما فعلتم أخذت على الحكمين، واستوثقت أن يحييا ما أحيا القرآن،

ويميتا ما أمات القرآن. فاختلفا وخالفا حكم الكتاب، فنبذنا أمرهما، فنحن على الأمر الأول فمن أين أتيتم؟ قالوا: إنا حكمنا فلما حكمنا أثمنا وكنا بذلك كافرين، وقد تبْنا فإن تبْت فنحن معك ومنك، فإن أبيتَ فإنّا مُنابذوك على سواء. قال عليٌّ: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر[1]! أبعد إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر؟ قد ضللتُ إذن وما أنا من المهتدين! [ثم انصرف عنهم].

وقيل: كان من كلامه «يا هؤلاء إن أنفسكم قد سوّلت لكم فراقي بهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أن القوم إنما طلبوها مكيدة ووهناً، فأبيتم عليّ إباءَ المخالفين وعندتم عنود النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم رأي مَعاشر ـ والله ـ أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام فلم أأت ـ لا أبا لكم ـ هجراً. والله ما حلت عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا ارتكبت لكم ضراً، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع رأي مَلَئكم أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بالحق ولا يعدواه، فتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، والتقية دينهما حتى خالفا سبيل الحق[2] وأتيا بما لا يعرف. فبّينوا لنا بم

(1) في الأصل «دابر».

(2) كذا وفي تاريخ ابن الأثير «وكان الجور هواهما، والثقة في أيدينا حين خالفا سبيل الحق».

تستحلون قتالنا، والخروج عن جماعتنا، وتضعون سيوفكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس: تضربون رقابهم، إن هذا لهو الخسران المبين. والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام!».

فتنادوا أن لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم، وتهيئوا للقاء الله، الرواح الرواح إلى الجنة! فرجع عليّ عنهم.

ثم أنهم قصدوا جسر النهر فظن الناس أنهم عبروه فقال عليّ: «لن يعبروه وأنّ مصارعهم لدون الجسر. والله لا يقتلون منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة» فتعبأ الفريقان للقتال، فناداهم أبو أيوب فقال: من جاء [تحت] هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة، أو إلى المدائن، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن. فانصرف فروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فبقي مع (عبد الله بن وهب) ألف وثمانمائة فزحفوا إلى عليّ وبدأوه بالقتال، وتنادوا: الرواح الرواح إلى الجنة؛ فاستقبلهم الرماة من جيش عليّ بالنبل والرماح والسيوف، ثم عطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة وعليها أبو أيوب الأنصاري، وعلى الرجال أبو قتادة الأنصاري. فلما عطفت عليهم الخيل والرجال، وتداعى عليهم الناس؛ ما لبثوا أن أناموهم فأهلكوا في ساعة واحدة، فكأنما قيل لهم: موتوا، فماتوا. وقتل ابن وهب، وحرقوص وسائر سراتهم، وفتش عليّ في القتلى

والتمس المخدج الذي وصفه النبي ﷺ في حديث الخوارج فوجده في حفرة على شاطئ النهر، فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود، فإذا مدّت امتدت حتى تحاذي يده الطولى، فلما رآها قال: والله ما كذبت ولا كذبت والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم متبصراً في قتالهم، عارفاً للحق الذي نحن عليه. وقال حين مرّ بهم وهم صرعى: بؤساً لكم لقد ضرَّكم من غرَّكم. قالوا يا أمير المؤمنين! من غرَّهم؟ قال: الشيطانُ، ونفس أمّارة بالسوء غرّتهم بالأمان، وزّينت لهم المعاصي، ونبّأتهم أنهم ظاهرون.

(هذا) ملخظ أمرهم، وقد عرفت شبهتهم التي جزموا لأجلها بكفر علي وشيعته، ومعاوية وأصحابه، وبقي معتقدهم في أناس متفرقين بعد هذه الوقعة، ثم اجتمعت لهم شوكة ودولة، وقاتلهم المهلب بن صفرة، وقاتلهم الحجاج بن يوسف، وقاتلهم قبله ابن الزبير زمن أخيه عبد الله، وشاع عنهم التكفير بالذنوب ـ يعني ما دون الشرك ـ.

وبهذا تعرف حقيقة الحال، ويزول الإشكال، الذي نشأت منه الشبهة. وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم في نونيته:

ومن العجائب أنهم قالوا لمن ... قد دان بالآثار والقرآن:
أنتم بذا مثل الخوارج، إنهم ... أخذوا الظواهر، ما اهتدوا لمعان

وهذا داء قديم في أهل الشرك والتعطيل مَن كفّرهم بعبادة غير الله، وتعطيل أوصافه، وحقائق أسمائه، قالوا له: أنت مثل الخوارج، يكفرون بالذنوب وتأخذون بظواهر الآيات. ومعلوم أن الذنوب تتفاوت وتختلف بحسب منافاتها لأصل الحكمة المقصودة بإيجاد العالم، وخلق الإنس والجن، وبحسب ما يترتب عليها من هضم حقوق الربوبية، وتنقص رتبة الآلهية، وقد كفَّر الله ورسوله ﷺ بكثير من جنس الذنوب كالشرك وعبادة الصالحين كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله، أيّ الذنوب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك. قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أيّ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية. فمن أنكر التكفير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة، ومن فرّق بين ما فرق الله ورسوله بينه من الذنوب، ودان بحكم الكتاب والسُنّة وإجماع الأمة في الفرق بين الذنوب فقد أنصف، ووافق أهل السنة والجماعة. ونحن لم نكفر أحداً بذنب دون الشرك الأكبر الذي أجمعت الأمة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد كما حكاه في الإعلام لابن حجر الشافعي.

ذكر طرف من معتقد المغالين، في القبور والصالحين:

ونذكر لك طرفاً من معتقد هؤلاء، وحقيقة ما هم عليه من الدين، ليعلم الواقف عليه أيُّ الفريقين أحق بالأمن، إن كان الواقف ممن اختصّه الله بالفضل والمنّ، ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلاً واستظهاراً، مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق.

من ذلك محبتهم مع الله محبة تألّه وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع الله في المهمات والملمات. والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلّا فاطر الأرض والسموات. والعكوف حول أجداثهم، وتقبيل أعتابهم، والتمسّح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات. وإظهار الفاقة، وإبداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والأمطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار. وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى، واللطف بالضعفاء واليتامى، والاعتماد عليهم في المطالب العالية، وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية، وإعطاء تلك المراتب السامية. وجماهيرهم ـ لما ألفت ذلك طباعهم، وفسدت به فطرهم وعزّ عنه امتناعهم ـ لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى، والإنابة إليه. بل ليس ذلك عندهم إلّا الوليّ الفلانيّ. ومشهد الشيخ فلان. حتى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء،

والإنابة إلى الله تعالى في كشف الشدائد والبلوى. وكل هذا رأيناه وسمعناه عنهم. فهل سمعت عن جاهلية العرب، مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب؟

والكلام مع ذكيّ القلب، يقظ الذهن، قوي الهمّة، العارف بالحقائق ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد، في أصول الديانات والتوحيد.

وأما ميت القلب، بليد الذهن، وضيع النفس، جامد القريحة. ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد، والتعلّق بما يحكى عن فلان وفلان في معتقد أهل المقابر والتنديد؛ فذاك فاسد الفطرة، معتلّ المزاج، وخطابه محض عناء ولجاج.

ومن وقف على كتب المتصوفة، ومناقب مشايخهم؛ وقف على ساحل بحر من ضلالهم. وفي حاشية الشيخ البيجوري على السنوسية نقلاً عن الدردير عن الشعراني: «أن الله وكل بقبر كل ولي ملكاً يقضي حاجة من سأل ذلك الولي» فقف هنا وانظر ما آل إليه إفكهم! فأين هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾؟ قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾؟ وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؟

وأي حجة في هذا الذي قاله الشعراني لو كانوا يعلمون؟ ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون! ـ ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة شمس الدين الحنفي أنه قال في مرض موته «من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب أن أقضيها فله فإنما بيني وبينه ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل»!!!

وباب تصرف المشايخ والأولياء قد اتّسع حتى سلكه جمهور من يدّعي الإسلام من أهل البسيطة، وخرقه قد هلك في بحاره أكثر من سكن الغبراء وأظلّته المحيطة، حتى نسي القصد الأول من التشفع والوساطة، فلا يعرج عليه عندهم إلّا من نسي عهود الحمى. فعاد الأمر إلى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير، ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى إلى هذه الغاية بل ذكر الله عزَّ وجلَّ أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به، ولذلك احتّج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية، والتدبير على ما أنكروه من الإلٰهية.

ومن ذلك ـ وهو من عجيب أمرهم ـ ما ذكره حسين بن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله «إن امرأة كف بصرها فنادت وليها: أما الله فقد صنع ما ترى، ولم يبق إلّا حبك»[1] انتهى.

---

(1) في الأصل «حسبك».

وروي: أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة، فاستقبلوا القبر، وأحرموا، ووقفوا وركعوا، وسجدوا لصاحب القبر، حتى أنكر عليهم سَدَنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا: هذا محبة في سيدنا الحسين. وكثير من علماء مصر يقول: لا يدق وتد في القاهرة إلّا بإذن السيد أحمد البدوي!!

وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد، وقصد التبرّك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية.

ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين يبقى رسماً جارياً يؤدى كل عام، وإن كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه ولا يمانع هذا إلا مكابر في الحسيات؛ وإن فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر!

وهذا أشد وأشنع مما ذكر - جلّ ذكره - عن جاهلية العرب بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ الآية.

وكذلك جعل السوائب باسم الولي: لا يحمل عليها؛ ولا تذبح. وسوق الهدايا والقرابين إلى مشاهد الأولياء؛ وذبحها حباً للشيخ وتقرّباً إليه. وهذا وإن ذكر اسم الله عليه، فهو أشدّ تحريماً مما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله فإن الشرك في العبادة أكبر

من الشرك بالاستعانة ـ ومن ذلك ترك الأشجار والكلأ والعشب إذا كان بقرب المشهد؛ وجعله من ماله.

ومنها الحج إلى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون، ويهدون لصاحب القبر ويذبحون؛ وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه إذا فرغ من الزيارة. وقد صنّف بعض غلّاتهم كتاباً سمّاه (حجّ المشاهد).

ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين. والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفى، بل فيه البحر الذي لا ساحل له، والمهامة التي لا ينجو سالكها ولا يكاد، ومن نحوه عرف الكفر، وظهر الشرك والفساد، كما يعرف ذلك من له إلمام بالتواريخ، ومبدأ الحوادث في الدين. ومن شاهد ما يقع منهم عند مشهد علي والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد (رضي الله عنهم) عند رافضتهم، والشيخ عبد القادر والحسن البصري والزبير وأمثالهم (رضي الله عنهم) عند سنّتهم: من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات، وأنواع الموبقات، علم أنهم من أجهل الخلق وأضلّهم وأنهم في غاية من الكفر والشرك ما وصل إليها مَن قبلهم ممّن ينتسب إلى الإسلام. والله المسؤول أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، بمحو هذه الضلالات حتى يعبد وحده، فتسلم الوجوه له، وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها.

ومن ذلك ـ وإن كان يعلم مما تقدم ـ اتخاذها أعياداً أو مواسم مضاهاة لما شرعه الله ورسوله من الأعياد المكانية والزمانية. ومنها ما يقع ويجري في هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش، وترك الصلوات، وفعل الخلاعات التي هي في الحقيقة خلع لربقة الدين والتكليف، ومشابهة لما يقع في أعياد النصارى والصابئة والإفرنج ببلاد فرنسا وغيرها من الفجور والطبول والزمور والخمور. وبالجملة فما أحدثه عباد القبور يعزّ حصره واستيفاؤه.

سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ونقص عليك شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونذكر طرفاً من أخباره وأحواله، ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه، وبالغ في كفره واستهواه، فنقول:

قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه؛ وما ثبت بخطه، وعرف واشتهر من أمر دعوته، وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته، أنه على ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، التي نطق بها الكتاب العزيز، وصحّت بها الأخبار النبوية، وتلقّتها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم: يثبتونها،

ويؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والإيمان، وسلف الأئمة وأئمتها: كسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وطلحة بن عبيد الله، وسليمان بن يسار وأمثالهم. ومن الطبقة الثانية: كمجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وابن سيرين، وعامر الشعبي، وجنادة بن أبي أمية، وحسان بن عطية وأمثالهم. ومن الطبقة الثالثة[1]: علي بن الحسين، وعمر بن عبد العزيز، ومحمد بن مسلم الزهري، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وابن الماجشون، وكحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك؛ وأبي حنيفة النعمان بن ثابت؛ ومحمد بن إدريس، وإسحاق بن إبراهيم؛ وأحمد بن حنبل؛ ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري؛ وإخوانهم وأمثالهم ونظرائهم من أهل الفقه والأثر في كل عصر وعصر.

وأما توحيد العبادة والإلٰهية فلا خلاف بين أهل الإسلام فيما قاله الشيخ وثبت عنه من المعتقد الذي دعا إليه؛ يوضح ذلك أن أصل الإسلام وقاعدته شهادة أن لا إلٰه إلّا الله؛ وهي أصل الإيمان

---

(1) لينظر ما هو مراده من الطبقة الأولى والثانية والثالثة، فهي لا تتفق مع تاريخهم ولا مع درجتهم ورتبتهم في العلم والفضيلة.

بالله وحده، وهي أفضل شعب الإيمان. وهذا الأصل لا بد فيه من العلم والعمل والإقرار بإجماع المسلمين، ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لا شريك له؛ والبراءة من عبادة سواه كائناً من كان. وهذا هو الحكمة التي خلقت لها الإنس والجن؛ وأرسلت لها الرسل؛ وأنزلت بها الكتب. وهي تتضمن كمال الذل والحب؛ وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم.

وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين؛ فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام وهو يتضمن الاستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً؛ ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾. وقال تعالى عن الخليل [عليه السلام]: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. وقال تعالى عنه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ وذكر عن رسله: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وغيرهم

أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ وقال عن أهل الكهف: ﴿...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ في موضعين من كتابه. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

قال رحمه الله: والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عبّاد القبور، وعباد الأنبياء والملائكة والصالحين، فإن هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بُعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ فإنهم كانوا يدعونها، ويلتجئون إليها، ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقرّبهم إلى الله زلفى كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

قال رحمه الله: ومعلوم أن المشركين لم يزعموا أن الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض، واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد ولو في خلق ذرة من الذرات. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقرّوا به من هذه الجمل إلخ. ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلماً بل هو حجة على ابن آدم خلافاً لمن زعم أن الإيمان مجرد الإقرار كالكرامية، ومجرد التصديق كالجهمية.

وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات. قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فأكدوا بلفظ الشهادة، و«إن» المؤكدة، واللام والجملة الاسمية، فأكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما أكّدوا به شهادتهم سواء بسواء، وزاد التصريح باللقب الشنيع، والعلم البشع الفظيع؛ وبهذا تعلم أن مسمى الإيمان لا بدّ فيه من الصدق والعمل، ومن شهد أن لا إلٰه إلّا الله، وعبد غيره فلا شهادة له؛ وإن صلّى وزكّى وصام، وأتى بشيء من أعمال الإسلام. قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضاً: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن

يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ الآية.

والكفر نوعان: مطلق، ومقيد: فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول، والمقيد أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول، حتى أن بعض العلماء كفّر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كتوريث الجد والأخت وإن صلى وصام، فكيف بمن يدعو الصالحين، ويصرف لهم خالص العبادة ولبّتها؟

وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة بل كفروا ببعض الألفاظ التي تجري على ألسن بعض الجهال وإن صلى وصام من جرت على لسانه. والصحابة رضي الله تعالى عنهم كفّروا من منع الزكاة وقاتلوهم مع إقرارهم بالشهادتين والإتيان بالصلاة والصوم والحج فتشبيه عباد القبور بأنهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال بإسلامهم وإيمانهم، ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون. وأما مسائل القدر والجبر والأرجاء والإمامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل فهو أيضاً فيها على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى، والدين يبرأ مما قالته القدرية النفاة، والقدرية المجبرة، وما قالته المرجئة، والرافضة، وما عليه غلاة الشيعة والناصبة، يُوالي جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ويكف عمّا شجر بينهم، ويرى أنهم أحق الناس بالعفو عمّا يصدر منهم، وأقرب الخلق إلى مغفرة الله وإحسانه لفضائلهم وسوابقهم

وجهادهم وما جرى على أيديهم من فتح القلوب بالعلم النافع، والعمل الصالح، وفتح البلاد، ومحو آثار الشرك وعبادة الأوثان والنيران والأصنام والكواكب، ونحو ذلك مما عبده جهّال الأنام، ويرى أن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين، ويعتقد أن القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين خاتم النبيين، كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود؛ ويبرأ من رأي الجهمية القائلين بخلق القرآن ويحكي تكفيرهم عن جمهور السلف أهل العلم والإيمان، ويبرأ من رأي الكلابية أتباع (عبد الله بن سعيد بن كلاب) القائلين بأن كلام الله هو المعنى القائم بنفس الباري، وأن ما نزل به جبريل حكاية أو عبارة عن المعنى النفسي؛ ويقول: هذا من قول الجهمية. وأول من قسَّم هذا التقسيم هو ابن كلاب، وأخذ عنه الأشعري[1] وغيره كالقلانسي: ويخالف الجهمية في كل ما قالوه وابتدعوه في دين الله، ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدي رسول الله ﷺ وسُنّته في العبادات والخلوات والأذكار المخالفة للمشروع ولا يرى ترك السنن والأخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده، بل السنة أجلّ في صدره وأعظم عنده من أن تترك لقول أحد كائناً من كان. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لا رأي لأحد مع سنة

---

(1) ثم رجع الأشعري عن هذه المقالة وقرر مذهب السلف كما سيأتي.

سنها رسول الله ﷺ. نعم عند الضرورة، وعدم الأهلية والمعرفة بالسنن والأخبار وقواعد الاستنباط والاستظهار يصار إلى التقليد؛ لا مطلقاً، بل فيما يتعسر ويخفى؛ ولا يرى إيجاب ما قاله المجتهد إلّا بدليل تقوم به الحجّة من الكتاب والسنة خلافاً لغلاة المقلّدين ويوالي الأئمة الأربعة؛ ويرى فضلهم وإمامتهم وأنهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتطاول؛ ويوالي كافة أهل الإسلام وعلمائهم: من أهل الحديث والفقه والتفسير؛ وأهل الزهد والعبادة؛ ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع، أو قول مخترع، فلا يحدث في الدين ما ليس له أصل يتبع وما ليس من أقوال أهل العلم والأثر؛ ويؤمن بما نطق به الكتاب، وصحّت به الأخبار، وجاء الوعيد عليه: من تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ ولا يبيح من ذلك إلّا ما أباحه الشرع وأهدره الرسول، ومن نسب إليه خلاف هذا فقد كذب وافترى، وقال ما ليس له به علم، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله المفترين. وأبدى رحمه الله من التقارير المفيدة، والأبحاث الفريدة، على كلمة الإخلاص والتوحيد شهادة أن لا إلٰه إلّا الله ما دلّ عليه الكتاب المصدق، والإجماع المستبين المحقق، من نفي استحقاق العبادة والآلهية عمّا سوى الله، وإثبات ذلك لله سبحانه على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته، وأن هذا هو معناها وصفاً ومطابقةً خلافاً لمن زعم غير ذلك من المتكلمين كمن يفسر ذلك بالقدرة على الاختراع، أو بأنه تعالى غني عمّا سواه مفتقر

إليه ما عداه، فإن هذا لازم المعنى إذ الإلٰه الحق لا يكون إلا قادراً غنياً عمّا سواه. وأما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس كذلك. والمتكلمون خفي عليهم هذا، وظنوا أن تحقيق توحيد الربوبية والقدرة هو الغاية المقصودة والغناء فيه هو تحقيق التوحيد، وليس الأمر كذلك بل هذا لا يكفي في الإيمان، وأصل الإسلام، إلّا إذا أضيف إليه واقترن به توحيد الآلهية، وأفراد الله تعالى بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والإنابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. هذا أصل الإسلام وقاعدته، والتوحيد الأول توحيد الربوبية والقدرة والخلق والإيجاد هو الذي بني عليه توحيد العمل والإرادة وهو دليله الأكبر، وأصله الأعظم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ إلى آخر الآيات. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

إن كان ربك واحداً سبحانه ... فاخصصه بالتوحيد مع إحسان

أو كان ربك واحداً أنشاك لم ... يشركه إذ أنشاك رب ثاني

فكذلك أيضاً وحده فاعبده لا ... تعبد سواه يا أخا العرفان

وهذه الجمل منقولة عن السلف والأئمة من المفسرين وغيرهم من أهل اللغة إجمالاً وتفصيلاً.

وقد قرر رحمه الله تعالى على شهادة أن محمداً رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة، وتستوعبه وتقتيضه من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير، والنصرة

والمتابعة والطاعة، وتقديم سنته ﷺ على كل سنة وقول، والوقوف معها حيثما وقفت، والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره، خفيه وجليه، كليه وجزئيه، ما ظهر به فضله، وتأكد علمه ونبله، وأنه سباق غايات، وصاحب آيات، لا يشق غباره، ولا تدرك في البحث والإفادة آثاره. وأن أعداءه ومنازعيه، وخصومه في الفضل وشانيه، يصدق عليهم المثل السائر، بين أهل المحابر والدفاتر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالناس أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... ـ حسداً وبغياً ـ إنه لذميم

وله رحمه الله تعالى من المناقب والمآثر ما لا يخفى [على] أهل الفضائل والبصائر. ومما اختصّه الله به من الكرامة تسلط أعداء الدين وخصوم عباد الله المؤمنين، على مسبته، والتعرّض لبهته وعيبه. قال الشافعي رحمه الله تعالى: «ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ إلا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عند انقطاع أعمالهم» وأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وقد ابتليا من طعن أهل الجهالة والسفاهة بما لا يخفى.

وما حكيناه عن الشيخ حكاه أهل المقالات عن أهل السنة والجماعة مجملاً ومفصلاً. وهذه عبارة أبي الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين) قال أبو الحسن الأشعري: جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار

بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً. والله تعالى إلٰه واحد فرد صمد، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً. وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله. وأن الجنة حق. وأن النار حق. وأن الساعة آتية لا ريب فيها. وأن الله يبعث من في القبور. وأن الله تعالى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وأن له عينين بلا كيف، وأن له وجهاً جلّ ذكره كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن الله تعالى عالم كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿...أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقالوا إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلّا ما شاء الله وإن الأشياء تكون بمشيئة الله تعالى كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وكما قال المسلمون: ما شاء الله وكان وما لم يشأ لم يكن. وقالوا: إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر على أن يخرج عن علم الله تعالى وأن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلّا الله، وأن أعمال العباد يخلقها الله، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً،

وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين بمعصيته ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين، وإن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وأضلّهم وطبع على قلوبهم. وإن الخير والشر بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، ويؤمنون أنه لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلّا ما شاء الله كما قال، ويلجئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت والفقر إلى الله في كل حال، ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في الوقف واللفظ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق؛ ويقولون إن الله تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محجوبون، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾؛ وإن موسى [عليه السلام] سأل الله تعالى الرؤية في الدنيا، وأن الله تعالى تجلَّى للجبل فجعله دكًّا فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة، ولم يكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنى والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون، وإن ارتكبوا الكبائر. والإيمان عندهم هو الإيمان بالله

وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وإن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصبهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إلٰه إلّا الله على ما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان، ويقرّون بأن الله مقلّب القلوب، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض حق، والمحاسبة من الله للعباد حق، والوقوف بين يدي الله حق. ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق، ويقولون أسماء الله هي الله، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى نزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ. ولا يقولون «كيف» ولا «لِمَ» لأن ذلك بدعة، ويقولون إن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرضَ بالشر وإن كان مريداً له. ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم،

ويمسكون عمّا شجر بينهم: صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟ كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ويرون أتباع مَنْ سلف من أئمة الدين ولا يبتدعون في دينهم ما لم يأذن به الله، ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام برّ وفاجر، ويثبتون المسح على الخفين ويرونه في الحضر والسفر ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرج عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم يقتله؛ ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤية في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم، ويصدقون بأن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال تعالى. وأن السحر كائن موجود في الدنيا؛ ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة

مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن مَن مات مات بأجله، وكذلك من قتل قتلَ بأجله، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالاً كانت أو حراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان، ويشكّكه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصّهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ القرآن، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد، وأن الله عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد الله تعالى، ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله به، والانتهاء عمّا نهى الله عنه، وإخلاص العمل، والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنى وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والإزراء على الناس والعجب، ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكفّ الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه. وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

القبائل الساكنة اليوم في نجد

من عشائر نجد (مطير) وهي قبيلة كثيرة العدد مشهورون بالإقدام والشجاعة. وهي عدة بطون منها (الدويسي) و(الموهمة)[1] و(جبلان) و(ذوو عون) و(الملاعية)[2] (ومسيلم) و(برية)[3] (والمريخات) و(الهوامل) والمشهور أنهم من قحطان. وفي نهاية الإرب [للقلقشندي] أنهم بطن من بني طسم[4] من العماليق من العرب العاربة كانت مساكنهم مع قومهم من بني طسم[4] بيثرب إلى أن أخرجهم منها بنو إسرائيل.

ومنها (العجمان) وهم أهل شجاعة وإقدام، ومن بطونها (آل معيض) و(آل حبيش) و(آل سليمان) و(آل هتلاب)[5] (وآل

---

(1) الصواب «الموهة» (*).
(2) الصواب «الملاعبة» بالموحدة (*).
(3) كذا والصواب (بريه) بالضم ثم الفتح وياء ساكنة وهاء (*).
(4) في الأصل «طاسم» وفي النهاية (ص 340 ـ طبعة بغداد): «جاشم»!
(5) الصواب «آل هتلان» (*).

محفوظ) (والضاعن) و(الشامر) و(آل مصرع) و(الشواولة) و(آل مفلح) وهم من قحطان.

ومنها (آل مرة) وهم موصوفون بالبأس والقوة. ومن بطونها (آل جابر) و(آل عذبة) و(آل غفران) و(آل فهيد) و(آل علي). ومنها (آل عتيبة) وهم قبيلتان: (الرومة)[1] و(برقا) وكل منهما عدة بطون. وهم على ما في (النهاية) بطن من جذام من القحطانية بنو عتيبة بن أسلم بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام. قال أبو عبيد: وهم اليوم ينسبون في بني شيبان فيقولون عتيبة بن عوف بن شيبان، قال: وإليهم ينسب جعرة عتيب بالبصرة. قال الجوهري: أغار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال فكانوا يقولون: إذا كَبِر صبياننا لم يتركونا حتى يفتكونا فلم يزالوا عنده حتى هلكوا فضربت لهم العرب مثلاً فقالوا: «أودى عتيب» وفي ذلك يقول الشاعر:

ترجيها وقد وقعت بقرّ كما ترجو أصاغرها عَتيب[2]

ومنها (قحطان) وهم من أهل النجدة والقوة والعدة والعدد. وينقسمون إلى بطون: (الجمالين) و(العرينات) و(البنطة) و(الصحلة) و(الجبور) و(آل عدي) و(المذارية) و(العيادي)

---

(1) لعله الروقة (*).

(2) البيت لعدي بن زيد

و(الضعمة) و(مليح) و(القرتيات)[1] و(العزة). وهم من بني عامر بن صعصعة من العدنانية.

ومنها (السهول)[2] وهم خمس قبائل وهم (بنو سهل) بطن من بني بحر من لخم من القحطانية.

ومنها (الدواسر) وهم حاضرة وبادية. وسكنة البادية (المساعرة) و(آل أبي سباع) و(آل بريدة) و(آل المخاريم)[3] و(المرجبان) و(الخييلات) و(الشوافا) و(الغيثيات)[4] و(آل أبي حازم) و(آل عمار) وهم بطن من عرب اليمن ولم ينسبوا إلى أحد.

وأما (بنو خالد)[5] فكانوا أمراء الإحساء فتغلب عليهم (ابن سعود) وأخذ منهم الإحساء. وهم قبائل منهم (المهاشير) و(الجبور) والمشيخة في (آل حميد) أهل الكرم والشجاعة. وفي نجد قبائل غير من ذكرناهم.

حرب

هذه قبيلة عظيمة سكنوا بوادي (المدينة) وينقسمون إلى

(1) لعله «القرينات»(*).
(2) في الأصل «الشهول» بالشين المعجمة
(3) لعله «المخازيم» بالزاي (*).
(4) لعله «الغياثات» (*).
(5) عقب خالد بن الوليد انقرض على ما أجمع عليه علماء النسب فهؤلاء ليسوا من أعقابه اهـ من هامش نسخة المؤلف.

قبيلتين: (بني علي) و(مسروح) ومن كلّ منهما تتفرع عدة بطون، ولم يصرح أحد من علماء النسب بنسبهم. وفي بوادي المدينة بعض من عتيبة، وكذا في بوادي مكة، وكذا من (البقوم). وأما (هذيل) فهم في بوادي مكة خاصة وهم بطن من خِنْدف من مُضَرَ. وقد يوجد بعض أعراب حرب حول مكة. وأما (ثقيف) ففي الطائف، وهم من هوازن من العدنانية.

وأما عرب (عُمان) فهم قبائل كثيرة منهم (المناصير) و(نعيم) و(السعد) وكلّ من هذه القبائل يتفرّع إلى بطون. وهم بعض من الأزد نزلوا عمان لما تفرّق الأزد، في حادثة السد.

وعرب بادية اليمن كثيرون، ومنهم (غامِد) و(زَهْران)[1] و(بجيلة) و(أسعد) و(شهران) و(زبيد) وبعض من (يام). وكلهم من قحطان، ويتفرّع من كل من هؤلاء بطون كثيرة.

وعرب جزيرة البحرين والقطيف وهَجَر من (ربيعة) وغيرهم. ومن العرب من لا يعرف له نسبٌ أصلاً، والعرب لا يقيمون لهم وزناً، وهم (الصليب) و(العوازم) و(الرشايْدة).

---

(1) انظر أوائل تتمة الشيخ سليمان بن سحمان.

أمراء نجد وذكر نسبهم وسائر أحوالهم

أمراء نجد اليوم من (آل رشيد) ومقرّهم جبل أجأ وسلمى، وأحوالهم وما هم عليه نتكلم عليها في غير هذا الموضع. وكلامنا في الأمراء الذين كانوا قبلهم فإن لهم شأناً في التاريخ، وهم كثيرون.

منهم: عبد الله بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي العنيزي، وهو من مشايخ عنيزة. وكان (مانع) المذكور جدَّ آل مقرن وآل وطبان يسكن في بلاد الدروع من نواحي القطيف، ثم صار بينه وبين (درع) رئيس حجر اليمامة من بني عمه مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم فاستدعاه ابن درع من القطيف وأعطاه من ملكه أرض (المليبد) و(غصيبة) المعروفتين في الدرعية، فاستقرّ هو وأولاده فيهما. وكان ما فوق المليبد وغصيبة (لآل يزيد) من (آل وغيثر)[1] من بني

(1) في تاريخ ابن بشر «دغيثر».

حنيفة الموجودين اليوم إلى ما دون (الجبيلة)، ومن الجبيلة إلى (الابكين) إلى (حريملة) لحسن بن طوق جد آل معمر.

ثم ولد لمانع المذكور (ربيعة) وصارت له صولة واتّسع ملكه وحارب آل يزيد.

ثم ظهر بعد ذلك ابنه (موسى) وصارت له شهرة أعظم من [شهرة] أبيه ربيعة واستولى على الملك في حياة أبيه وصارت له وقعة مع آل يزيد، وجرح جروحاً كثيرة، وضيّقوا عليه، واحتال على قتل أبيه ربيعة فجرحه جراحات كثيرة!!! وهرب ربيعة إلى أحمد بن حسن بن طوق رئيس العينية فأجاره وأجلّه وأكرمه لما بينهما من سابقة المعروف.. ثم إن موسى جمع جموعاً من (المبردة) وغيرهم ممن كان عنده من الموالفة، وأغار على آل يزيد صباحاً في (النعيمة) و(الوصيل) فتحاربوا وصارت الغلبة لموسى فقتل من آل يزيد أكثر من ثمانين رجلاً، واستولى على ملكهم ومنازلهم، ودمّرهم، ولم تقم بعد ذلك لآل يزيد قائمة، وكانوا يضربون المثل بهذه الوقعة فيقال: «صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد».

واستمرّ موسى بن ربيعة في الولاية إلى أن توفيّ، فتولى ابنه (إبراهيم) إلى أن توفي، فتولى ابنه (مرخان).

وكان (لمرخان) ولدان: (ربيعة) و(مقرن). فأما (ربيعة) فولده

(وطبان) جدّ آل وطبان القاطنين في قصبة الزبير.

ولوطبان المذكور عدة أولاد ذكور قيل إنهم أربعة عشر ولداً ذكراً. منهم (مرخان أبو زيد) الذي تولى الدرعية قبل آل مقرن. وغدره محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقّب بخرفاش فقتله وقتل دغيم بن فايز المليحي، وكان معهما محمد بن سعود من آل مقرن فهرب ونجا.

ثم بعد ذلك استقلَّ بالدرعية، واستولى أولاده على جميع نجد وهم: (آل مقرن) الذين منهم (ابن سعود) المشهور. ومنهم (محمد بن وطبان) جد آل ثاقب.

وقد جرى بين آل وطبان قطيعة وسفك دماء.

ويجتمع (آل مقرن) و(آل وطبان) في (مرغان)، وهما يجتمعان مع أهل (خرما) وأهل (أبي الكباش) في (إبراهيم بن موسى) المذكور.

وقتل (وطبانُ) المذكور ابن عمه (مرخان بن مقرن) وهرب من نجد قبل وأتى إلى قصبة الزبير قرب البصرة.

وأما (مقرن بن مرخان بن إبراهيم) جدّ (آل سعود) المشهورين فله من الأولاد (محمد) و(عياف) و(عبد الله).

فمحمد جد آل سعود. وعبد الله جد آل ناصر. وعياف جد آل

عياف. فآل مقرن هم ذرية محمد، وذرية عبد الله، وذرية عياف، وذرية مرخان الذي قتله ابن عمه وطبان.

وخلف محمد بن مقرن من الأولاد (مقرناً) و(سعوداً) فمقرن هذا ليس له عقب إلّا (عبد الله) الذي جعله عبد العزيز بن محمد بن سعود أميراً في (الرياض) حين تغلّب عليها.

وأما (سعود) فله عدة أولاد منهم: (محمد) و(مشاري) و(ثنيان) و(فرحان).

فمحمد هو الذي استقلَّ بالدرعية، وكذا أولاده من بعده إلى عصرنا هذا، وهو الذي آوى الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب عالم نجد المشهور. فإنه لما كان في بلد العيينة عند عثمان بن معمر ورأى منه الجفاء قصد (محمد بن سعود) المذكور فآواه وأيّده وامتثل أمره، وجهّز الجيوش لنصر دعوته، وترويج طريقته ـ كما سيأتي.

و(مشاري) بن سعود بن محمد بن مقرن هو الذي أيّد أخاه محمد بن سعود في نصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذا ولده (حسن بن مشاري) فإنه قاد السرايا، وقاتل في الحصون والبلاد والقرى مع ابن عمه (عبد العزيز) بن محمد بن سعود، وله أولاد فرسان وشجعان قتلوا في حرب إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر لما حاصر الدرعية، وكذا ابنه (عبد الرحمن)

وخلف عبد الرحمن ولداً اسمه (مشاري) الذي قتل ابن عمه (تركي) أمير نجد وأما (ثنيان) بن سعود بن محمد بن مقرن فإنه كان أعمى ولكن كان مفتوح البصيرة مفرط الذكاء، وكان مستشاراً لأخيه الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن في الأمور.

ومن ذريته (عبد الله) بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان المذكور. و(فيصل) بن ناصر بن عبد الله بن ثنيان المذكور. و(محمد) بن يوسف بن ثنيان الذي كان في مصر ثم جاء إلى ابن عمه فيصل أمير نجد. وأما (فرحان) بن سعود بن محمد بن مقرن فليس من ذريته إلا (سعود) بن إبراهيم بن عبد الله بن فرحان والباقون من جميع (آل مقرن) إنما هم ذرية محمد بن مقرن جدّ آل سعود أمراء نجد في هذا العصر، وذرية أخيه عياف بن مقرن جدّ آل عياف المشهورين.

و(لنرجع) إلى أولاد محمد بن سعود بن محمد بن مقرن جدّ آل سعود أمراء نجد:

فخلف (محمد) بن سعود (عبد العزيز) وهو الذي قاد الجيوش لنصرة دعوة ابن عبد الوهاب، وبلغت سراياه وعماله أقصى بلاد نجد، وزالت به الحروب التي كانت تقع بين قبائل نجد، وحصل الأمن والأمان في البادية والحضر، وكانت الإبل والخيل والأنعام ترعى في الصحاري وتلد وليس عندها سوى رجل واحد لا يستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئاً.

ثم خلف عبد العزيز (سعوداً) وهو أيضاً قد قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب، وأذعنت له صناديد العرب، وذلّت له رؤساؤهم، بَيْدَ أنه منع الناس عن الحج، وخرج على السلطان، وغالى في تكفير من خالفهم وشدد في بعض الأحكام، وحملوا (أي النجديون) أكثر الأمور على ظواهرها كما غالى الناس في قدحهم. والإنصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذي ذهب إليه علماء نجد وعامّتهم[1] من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله، ومنعهم الحج. ولا التساهل الذي عليه عامة أهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله وبناء الأبنية المزخرفة بالذهب والفضة والألوان المختلفة على قبور الصالحين والنذر لهم وغير ذلك من الأمور التي نهى عنها الشارع. والحاصل أن الإفراط والتفريط في الدين ليس مما يليق بشأن

(1) الغلو أو التعصب الذي التزمه بعض عامة نجد في بعض الأعمال هو ما لا يسلم من مثله خواص الناس في كل عصر ومصر أبداً:

يقولون في هذي البلاد تعصب   وأي بلاد ليس فيها تعصب

ولكن علماءهم لا يسكتون لهم على منكر ارتكبوه وحاشا لله أن يكون علماء نجد الأعلام غلاة متشددين يلتزمون العزائم واجتناب الرخص ولا يفقهون أسرار التشريع.

ولو أتيح للأستاذ رحمه الله إعادة النظر في الكتاب لحذف هذه العبارة التي جرى بها قلمه على خلاف ما يعتقده في النجديين ومعتقداتهم السلفية التي لم يحولوا فيها عن هدى الرسول الأعظم (ص) قيد شعرة كما حققنا ذلك من كتبهم وبلغنا من ثقات الرواة.

المسلمين بل الأحرى بهم اتّباع ما عليه السلف الصالح، وتكفير بعضهم لبعض مستوجب للمقت والغضب.

ثم خلف سعود بن عبد العزيز (عبد الله) وهو الذي استولى عليه إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر، وحبسه، وذهب به إلى مصر، ثم أرسله إلى اسلامبول أيام السلطان محمود خان فأمر بضرب عنقه في ميدان جامع السلطان بايزيد بين مَلأ من الناس. وعبد الله هذا وإن كان قد علّم كأسلافه القبائل أحكام الدين، وأمرهم بإقامة الجماعات في الأوقات الخمسة بحيث لا يتخلّف أحد منهم في بلاد نجد عنها إلى عصرنا هذا إلّا أنه قد أخطأ في تجاسره على بلاد السلطان، ولو أنه اكتفى بنجد وما يليه من عُمان وجزيرة البحرين وغيرهما لاستقام أمره، وفاز بثواب تعليمه أحكام الدين للقبائل الذين هم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

وخلف سعود بن عبد العزيز (فيصلاً) و(ناصراً) و(تركياً) و(إبراهيمَ) و(سعداً) و(فهداً) و(مشاريَ) و(عبد الرحمن) و(عُمَرَ) و(حسناً).

فأما فيصل فقد قتل في حرب الدّرعية بعد أنْ بارز وحصلت له الشهرة. وكذا قتل (إبراهيم) في تلك الحرب. و(ناصر) و(تركي) ماتا قبلهما. و(سعد) و(فهد) و(مشاري) و(عبد الرحمن) و(عمر) و(حسن) استصحبهم إبراهيم باشا إلى مصر مع أولادهم ونسائهم وماتوا هنالك.

وأما (محمد بن سعود) فمن أبنائه (عبد الله) وهو الذي نصر أخاه (عبد العزيز) وقاتل معه أشدَّ القتال، وقاتل الفرسان والأبطال، واشتهر في البسالة والشجاعة، فكم من كتيبة كرّ عليها ومزقها وقلَّ جمعها.

ثم قام مقامه ابنه (تركي) بن عبد الله الذي قاد القبائل إلى طاعته، وأمرهم بإقامة أركان الدين بعد أن تهاون أكثرهم بالصلاة، وتركوا الصيام، وعادوا إلى ما كانوا عليه من شعائر الجاهلية، فقاتلهم على ذلك حتى أذعنوا وأطاعوا.

ثم خلفه (فيصل بن تركي) وهو الذي ظهر من حبس مصر، واستولى على بلاد نجد، وكانت بيد (عبد الله بن ثنيان) فحارَبَهُ أشدَّ الحرب، فنصره الله عليه مع شدة بأسه، فدانت له القبائل والبلدان، وسلكت جنوده في نجد وعمان، وجمع في سياسته بين الشدة واللين، وكثرت عطاياه، وكان كثير الإكرام لأهل العلم وحملة القرآن، رؤوفاً بالفقراء والأرامل والأيتام، غير مائل إلى سفك الدماء. وقد مدحه الشيخ (عثمان) قاضي نجد بقصيدة منها:

عفيف شريف النفس للفضل عارف   حليم كريم سالم القلب منصف

ولفيصل بن تركي ثلاثة أولاد: (عبد الله) و(محمد) و(سعود). فأما (عبد الله). . . . .[1] وأما (محمد) فهو مع

---

(1) بياض في الأصل مقدار كلمتين.

أخيه عبد الله وفي طاعته. وأما (سعود) فقد كان بينه وبين أخيه عبد الله منافسة فهرب إلى العسير خوفاً منه، ثم عاد وتغلب على الإحساء والقطيف وهو بصدد الإمارة في نجد، ولم يتمكّن منها إلى أن استولت عليها الدولة العثمانية. فهذا ما يتعلق بنسب آل سعود.

رسم حكومتهم:

كانوا يأخذون من أهل الحضر من كل مائة صاع من الحبوب خمسة أصوع، ومن كل مائة صاع تمر خمسة أصوع. . ومن أهل البادية زكاة الإبل على الوجه المفصل في كتب الشريعة، وكذا من الغنم.

وأما ما يكون ريعه من الأنهر بلا سقي كالإحساء والقطيف ونحوهما فكان يؤخذ من المائة عشرة، وقد تضيق الواردات عن مؤونة ما عليه لمشايخ القبائل من المرتبات، ومؤونة نفسه وأهله وأقاربه وعلمائه وقضاته والفقراء والعاجزين عن الكسب ممن في بلاده وقراه. وليس لأمراء نجد عسكر موظف للحرب، بل إذا أراد القتال جمع من العشائر والقبائل نحو مائة ألف. وأما الموظفون في خدمته على الدوام فنحو ألف. وكان نحو خمسمائة في الإحساء ومثلها في القطيف ومثلها في عُمان. ولعسكره مرتبات جارية من القديم على أهل البلدان والبوادي. كلٌّ يعطى ما عليه

بحسب قدرته ووسعه. وقد تقاتل المائة ألفاً من غيرهم لما هم عليه من البأس والشجاعة وهم المراد بقوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. وفي بلاد نجد كثير من التجار وذوي الثروة، والكثير منهم في نواحي البصرة، ومنهم في الكويت، ومنهم في الهند.

مكاتبات أمراء نجد من آل سعود

من المعلوم أن مكاتبات عرب نجد على عهدها السابق من الاختصار والبعد عن التكلف، ولا سيما إذا كان المخاطب العامّ والخاص فلا بُدَّ حينئذ أن تكون المخاطبة بسيطة بعيدة عن أسباب الإخلال بفهم العموم. وأمراء نجد لهم مخاطبات خاصة ببعض الأشخاص وأخرى عامة، وقد أتحفنا ببعضها بعض فضلائهم فأدرجناها في هذا المقام تحفة للقارئين.

فمن ذلك ما كتبه (تركي بن عبد الله) إلى أهل نجد من حاضر وباد في النصيحة ولزوم جادة أدب الشريعة الغرّاء. وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم:

من تركي بن عبد الله - إلى مَنْ يراه من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فموجب الخط إبلاغكم السلام، والسؤال عن أحوالكم، والنصيحة لكم،

والشفقة عليكم، والمعذرة من الله تعالى؛ إذ ولّاني الله تعالى أمركم؛ والله المسؤول المرجوّ أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة، ويجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، والله تعالى منعم يحب الشاكرين ووعدهم على ذلك المزيد. قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

فالذي أوصيكم به تقوى الله تعالى في السر والعلانية. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ وجماع التقوى أداء ما افترض الله سبحانه، وترك ما حرّم الله، وأعظم فرائض الله تعالى بعدَ التوحيد الصلاة، ولا يخفاكم[1] ما وقع من الإخلال بها والاستخفاف بشأنها، وهي عمود الإسلام الفارقة بين الكفر والإيمان، مَنْ أقامها فقد أقام دينه ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع. وهي آخر ما وصّى به النبي ﷺ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه، وهي آخر ما يذهب من الدين، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة. وبعض الناس قد يسيء في صلاته ومنهم من يتخلّف عن الجماعة ويصلّي وحده أو في نخله هو ورجاله والمسجد جار له. وفي الحديث «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»، وهمّ النبي ﷺ أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار لولا ما فيهم من النساء والذرية، وقال ابن مسعود رضي الله

(1) الصواب: ولا يخفى عليكم.

تعالى عنه: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق».
وهذه أمور ما يخفاكم[1] وجوبُها لكن الكبرى عدم إنكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس أن كلّاً ذنبه على جنبه. وفي الحديث «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتطرؤن على الحق إطراءً أوْ ليعمنّكم الله بعقابه». وكذلك الزكاة بعض الناس يبخل ويستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله تعالى وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾. وقال النبي ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حق الله منه إلّا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح وأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم، وكل ما لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذّب به صاحبه. ونصاب الزكاة تفهمونه. وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدّخره صاحبه ولو كان من زرْع فقد زكّى إذا حال عليه الحول وهو معدّ للتجارة وجبت فيه الزكاة أو تمر أو أثمانهما كلّ ما أعدّ

(1) الصواب: لا يخفى عليكم.

للتجارة تجب فيه عند الحول. والله يبتلي الغني بالفقير. وطلب منكم اليسير، فمن أداها فنرجو الله تعالى أن يقبلها منه، ويخلفها عليه، ومن مكر بها فالله خير الماكرين. وكذلك معاملة الربا تفهمون أنها أكبر الكبائر وأن مرتكبها محارب لله ورسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه» فلعنهم سواء، فدلّ هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية وأن من لم ينكر على العاصي كالمرائي فهو مثله. وفي حديث آخر «الربا سبعون ضرباً أيسرها مثل من ينكح أمه» وفي الحديث أيضاً: «أربعة حق على الله لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر. وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق. والعاق لوالديْه» ومن أنواع الربا الطعام بالطعام إلى أجل، وبيع الذهب بالفضة، والفضة بالذهب، والتفرقة قبل القبض، أو بيع الملح بالطعام قبل القبض. وفي الحديث «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبرّ بالبرّ والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح يداً بيد، وزناً بوزن، كيلاً

بكيل. فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي» فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد. ومنه القرض الذي يجرّ منفعة. وفي الحديث: «كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا» وكذلك قلب الدَين بالدين على المعسر إذا كان في ذمته دراهم فعجز عن وفائها فأسلمها إليه بطعام وهذا يُشبه ربا الجاهلية، وكذلك بيع العينة[1] وهي حرام بأن كان عند رجل سلعة فاشتراها منه إنسان إلى أجل ثم اشتراها منه صاحبها الذي باعها بنقد دون ثمنها. وأنواع الربا لا يمكن حصرها. فيلزم المسلم الذي له معاملة أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه. والجاهل يسأل العالم، والخطر عظيم يسخط الربّ، ويمحق المال، فأنتم استعيذوا بالله، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. وكذلك المكاييل والموازين. وأنا ملزم كلّ أمير بأن يحضر مكاييل بلده صغارها وكبارها وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكيال واحد. وكذلك تفعلون بالموازين، وتفقد الناس كل شهر، ولا يحلّ بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذميّ كما في الحديث: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخُنْ مَنْ خانك» وكذلك تفقدوا الناس عن المعاشر الرديئة والذين يجتمعون على شرب التتن والنشوق به وكل أهل بلد لا بد أن يرتبوا مجالس الدرس في الجوامع فإن كانت خاربة فلا بدَّ أن يعمروها، والذي

---

(1) في الأصل «الغية».

يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه إلينا. وأنا مطلق الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا كان عن علم ينصح أولاً ويؤدّب ثانياً، ومن عارضه من خاص أو عام فأدبه الجلاء عن وطنه. وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر. وأنا أشهد الله عليكم أني بريء من ظلم من ظلمكم وأنا نصرة لكل صاحب حق وعون لكل مظلوم ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ وأعزّكم الله بعد الذلّة، وجمعكم بعد الفرقة، وكثّركم بعد القلّة، وآمنكم بعد الخوف. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم والسلام.

ومن ذلك ما كتبه (فيصل بن تركي) أيضاً إلى أهل نجد ناصحاً لهم ومحرضاً على فعل الخير واكتساب الصالحات وآمراً لهم بالمعروف، وناهياً عن المنكر. وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من يراه من المسلمين سلمهم الله تعالى. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد، فموجب الخط إبلاغكم السلام. لا زلتم في خير وعافية. والذي أوصيكم به تقوى الله تعالى في الغيب والشهادة، والعمل بما يرضيه، وتجنّب معاصيه، والمعاداة والموالاة فيه، قال الله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾. وأهم الأمور تعلم ما فرض الله تعالى من معرفة

أصل دين الإسلام وأركانه وواجباته وجميع شرائعه، ومعرفة ذلك بالكتاب والسُنّة، وقوام ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لا بدّ في كل ناحية من طائفة متصدّين لهذا الأمر كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا ملزم كل من يخاف الله تعالى ويرغب في الفلاح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يكون الآمر مراعياً للشروط في ذلك بأن يكون عليماً فيما يأمر به، عليماً فيما ينهى عنه. حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه. رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه. وألزم كل أمير أن يكون عوناً لهم وهم خاصته في الحقيقة، عون له على ما حمله الله تعالى من الأمانة. ويكون لديكم معلوماً أن واضع الجوائز عن المسلمين الحادر والظاهر إذا كانوا معروفين بأداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة فهي راجعة إليهم على الوجه المشروع إن شاء الله تعالى. والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه، وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة، وما في التفرّق من الشرّ في أمر الدين والدنيا. أسأل الله تعالى أن يمنّ علينا وعليكم بالقبول، والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

من ذلك ما كتبه (فيصل بن تركي) أيضاً لأهل نجد يذكرهم بأسباب الخير وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم:

من فيصل بن تركي إلى من يصل إليه الكتاب من المسلمين، وفّقهم الله تعالى بالتمسك بالدين، الذي بعث الله به جميع المرسلين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعدُ، فإن أجمع الوصايا وأنفعها الوصيةُ بتقوى الله. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وتقوى الله أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله. ومعظم التقوى والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي بعثوا به إلى العالمين وهو مبدأ دعوتهم لأممهم وهو معنى كلمة الإخلاص شهادة أن لا إلٰه إلّا الله فإن مدلولها نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده. قال الله تعالى: ﴿...فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ وقد بيّن الله تعالى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ فهذا معنى لا إلٰه إلا الله، وقد عبّر عنها بمعناها من النفي والإثبات. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾. والآيات في بيان توحيد العبادة أكثر من أن تحصر. وهذا التوحيد هو الذي جحدته الأمم المكذبة الرسل كما قال تعالى عن

قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الأمة. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩)﴾ وأما مشركو العرب فأخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ (٥) وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ (٧)﴾ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يرادما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق واحتج عليهم تعالى بما أقرّوا من توحيد الربوبية فإنه من أقوى الحجج فيما جحدوه من توحيد الإلهية كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾. وأكثر الناس في هذه الأزمنة وقبلها وقع منهم ما وقع من أولئك المشركين وهم يقرأون القرآن فعموا وصموا عن هذا التوحيد وأدلّته التي هي أبين في قلب المؤمن من الشمس في وقت الظهيرة. فيا من يدّعي معرفة هذا التوحيد! إعرف هذه النعمة وقدرها فإنها أعظم نعمة أنعم الله بها على من عرَفها وأحبّها وعمل بها ولزمها، فقابلوها بالشكر ولا

تكفروها بالإعراض عنها واحذروا أن يصدّكم الشيطان عن ذلك.

واعلموا أنه قد غلط في هذا الطريق طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة، فما حصل لهم من العلم إلّا القشور، وقد حرموا لبه وذوقه، وقلّدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل. فيا لها من مصيبة ما أعظمها وخسارة ما أكبرها! فلا حول ولا قوة إلّا بالله واحذروا النفوس الأمّارة وفتنة الدنيا والهوى فإن الأكثر قد افتتن بذلك، وظنوا أنهم قد سلموا وما سلموا، وتمنّوا النجاة والتمني رأس مال المفلس. نعوذ بالله من سخطه وعقابه. وأنت ترى أكثر الناس معبوده دنياه لها يوالي وعليها يعادي، ولها يحب ويبغض، ويقرب ويبعد، قد اشتغل بها عمّا خلق لأجله يبتهج بها. وقد ذمّ الله تعالى ذلك كما قال تعالى عند ذكره قارون ﴿...إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ والصحيح أن الإيمان والعمل الصالح والإسلام والقرآن هي النعم العظيمة، والفرح بها محمود ومحبوب إلى الله تعالى قد أوجبه على عباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فُسرَ الأول بالإسلام، والثاني بالقرآن. وقال بعض الصحابة رضي الله تعالى عنه: «فضلُ الله الإسلامُ، ورحمته أن جعلكم من أهله» فلا غناء لكم عن هذا التوحيد وحقوقه من فرائض الله تعالى وواجباته وأن يكون ذلك أكبر

همكم، ومحصل علمكم، ومن أهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمس حيث ينادى لها كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون بعدهم، ولذلك عمرت المساجد وشرّع الآذان فيها كما قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ فلا بد في المحافظة من استكمال شروطها وأركانها وواجباتها. فمن حفظها حَفِظَ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع. والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى كما سبق في الآية. جعلها الله طهرة للأنفس والأموال وزيادة وبركة وحجاباً من النار، فالتزموا ما شرّعه الله تعالى وفرضه فإن فيه صلاحَ قلوبكم ودنياكم وأخراكم. فاسألوا الله التوفيق: واعلموا أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من فرائض الدين وأركانه، قال بعض السلف: أركان الإسلام عشرة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والجماعة، والسمع والطاعة.

وهذه العشرة لا يقوم الإسلام حق القيام إلا بجميعها، والقرآن يرشد إلى ذلك جملة وتفصيلاً كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فالله الله، عباد الله! في مراجعة دينكم الذي نلتم به ما نلتم من النعم، وسلمتم به من النقم، وقهرتم به من

قهرتم فقوموا به حق القيام فجاهدوا في الله حق جهاده، وعظموا أمره ونهيه، واعملوا بما شرّعه، وتعطفوا على الفقراء والمساكين، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم كما قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

فٱقرأوا هذه النصيحة في جميع مساجد البلدان، وأنسخوها، وأعيدوا قراءتها في كل شهرين، واعلموا أنكم مستقبلون عاماً جديداً فتوبوا إلى الله. نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم أجمعين.

بعض من اشتهر من علماء نجد الأعلام
وما حدث منهم

نشأ في نجد علماء أعلام، وفضلاء كرام، لا سيما في علوم الدين، وشريعة سيد المرسلين، ولا يمكن استيعابهم في مثل هذا المقام، فكم برع فيهم إمام. ولنذكر بعض من اشتهر ذكره في البلاد، وشاع صيته بين العباد. منهم:

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ابن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس[1] بن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي النجدي صاحب الدعوة المشهورة.

---

(1) كذا في الأصل. وفي كتاب (التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق) معضاض بن إدريس بن علي بن محمد بن علوي بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيع بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن تميم. وهذا هو الذي تطمئن إليه النفس في تحقيق نسب الشيخ لأن صاحب التوضيح من أحفاده وهو أدرى بنسبه.

وخصومهم يسمون أتباعه (الوهّابية) وهذه النسبة ليست بصحيحة والنسبة في الحقيقة إنما هي إلى الشيخ محمد لأنه [هو] الذي دعا الناس إلى ترك ما كانوا عليه من البدع والأهواء، ونصر السنة، وأمر بأتباعها، وقد خالف أباه فيما كان عليه. وجرت بينهما مناظرات كما سيأتي إن شاء الله.

وقد نشأ الشيخ محمد[1] في بلد (العُيَيْنة) من بلاد نجد في حجر أبيه الشيخ (عبد الوهاب بن سليمان) القاضي في بلد العيينة في زمن إمارة عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر المشهور صاحب العيينة التي تزخرفت في أيامه، وذلك قبل انتقال الشيخ عبد الوهاب إلى بلد (حريملة) من بلاد نجد فقرأ الشيخ محمد على أبيه الفقه على مذهب الإمام (أحمد بن حَنْبل)، وكان الشيخ محمد في صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد، فصار ينكر على أهل نجد كثيراً من الأمور فلم يسعفه على ذلك أحد وإن استحسن إنكاره بعض الناس، فسافر من بلد العيينة إلى حجّ بيت الله الحرام فلما قضى نسكه سار إلى المدينة فأخذ فيها عن الشيخ العالم (عبد الله[2] بن إبراهيم بن سيف) من

(1) ولد سنة 1115هـ وتوفي سنة 1206هـ.

(2) كان نزيل المدينة المنورة. وكان من العلماء العاملين ذا بصر نافذ وعزم متين. قال الإمام محمد بن عبد الوهاب كنت عنده يوماً فقال لي: «تريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة؟» قلت: نعم. فأدخلني منزلاً فيه كتب كثيرة فقال: هذا الذي أعددت لها.

آل سيف رؤساء بلد (المجمعة) المعروفة في ناحية سدير من نجد. والشيخ عبد الله هو والد الشيخ (إبراهيم) مصنف كتاب (العِذب الغائض، في علم الفرائض).

وأنكر الشيخ محمد استغاثة الناس بالنبي ﷺ عند قبره. ثم رحل إلى (نجد) ثم إلى (البصرة) يُريد (الشام). فلما ورد البصرة أقام فيها مدة وأخذ فيها عن العالم الشيخ (محمد المجموعي) من أعلى المجموعة محلة من محال البصرة، فأنكر أيضاً أشياء كثيرةً على أهل البصرة فأحسَّ الناس به فآذوه وأخرجوه وقت الهجيرة، ولحق بعض الأذى بالشيخ محمد المجموعي أيضاً لمؤاواته للشيخ محمد. فلما خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هارباً من البصرة وتوسّط الطريق فيما بين البصرة وبلد (الزُبَيْر) في وقت الصيف في شدة الحر وكان ماشياً على رجليه، كاد يهلك من شدة العطش، فوافاه رجل من أهل بلد الزبير يسمى (أبا حميدان) ووجده من أهل العلم فسقاه الماء وحمله على حماره حتى أوصله إلى بلد الزبير.

ثم إن الشيخ محمد أراد السفر إلى (الشام) فضاق زاده[1] فانثنى عزمه عن الشام، فقصد (الإحساء) فنزل بها عند الشيخ العالم (عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف)[2] الشافعي الإحسائي.

---

(1) في عنوان المجد لابن بشر النجدي (1: 12): «فضاعت نفقته» فتدبر!

(2) في عنوان المجد: «عبد الله بن عبد اللطيف».

ثم خرج من الإحساء، وقصد بلد (حريملة) من نجد، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب قد انتقل إليها من بلد العيينة سنة تسع وثلاثين ومائة وألف بعد وفاة (عبد الله بن معمر) صاحب العيينة في الوباء الذي وقع بها فأفناها. وتولّى فيها بعده ابن ابنه (محمد بن حمد) الملقب بخرفاش، فوقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب منازعة فعزل الشيخ عبد الوهاب عن قضاء بلد العيينة، وجعل مكانه (أحمد بن عبد الله) بن عبد الوهاب بن عبد الله النجدي قاضياً، فانتقل الشيخ عبد الوهاب إلى بلد حريملة، ولما وصل الشيخ محمد إلى بلد حريملة لازم أباه وقرأ عليه وأظهر الإنكار على أهل نجد في عقائدهم فوقع بينه وبين أبيه منازعة وجدال وكذلك وقع بينه وبين الناس في بلد حريملة جدال كثير فأقام على ذلك مدة سنين حتى تُوفُي أبوه الشيخ عبد الوهاب سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف.

ثم أعلن الشيخ محمد بالدعوة والإنكار على الناس، وتبعه أناس من أهل حريملة، واشتهر بذلك. وكان رؤساء بلد حريمة قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة وكلٌّ منهما يدّعي الرئاسة، وليس في البلد رئيس يحكم على الجميع، وكان لإحدى القبيلتين عبيد يقال لهم (الحميان) وهم أهل الفساد، فأراد الشيخ محمد أن يمنعهم من فسقهم وفجورهم، وأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، فهمَّ العبيد ليلاً بقتل الشيخ محمد خفيةً، فلما تسوَّروا عليه من وراء

الجدار عَلِم بهم بعضُ الناس فصاحوا بهم وهربوا، فانتقل الشيخ محمد من حريملة إلى بلد العيينة ورئيسها يومئذٍ (عثمان بن حمد بن معمر) فتلقاه بالقبول وأكرمه، وحاول نصرته وقال لعثمان: إني أرجو إن أنت قمت بنصر «لا إلٰه إلّا الله» أن يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها، فساعده عثمان فأعلن الشيخ محمد بالدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشدّد في النكير على الناس فتبعه بعض أهالي العيينة، وقطع أشجاراً كانت تعظّم في تلك النواحي وهدم قبة قبر (زيد بن الخطاب) رضي الله عنه التي عند الجبيلة، فعظم أمره فبلغ خبره إلى (سليمان بن محمد بن عزيز الحميدي) صاحب الإحساب والقطيف وما حوله من العربان، فأرسل سليمان كتاباً إلى عثمان، وكتب فيه: «إن المُطَوّع الذي عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال فإذا وصلك كتابي فاقتله، فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء». وكان خراجه ألفاً ومائتين ذهباً، وما يتبعها من طعام وكسوة.

فلما ورد الكتاب إلى عثمان لم تسعه مخالفته فأرسل إلى الشيخ محمد وأخبره بكتاب سليمان، وقال له: لا طاقة لنا بحرب سليمان، فقال الشيخ محمد له: إنك إن نصرتني ملكت نجداً. فأعرض عنه عثمان. وأرسل إليه ثانياً أن سليمان قد أمرنا بقتلك، ولا نستطيع مخالفته، ولا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلدنا، فشأنك ونفسك وخَلّ بلادنا. فأمر

فارساً يقال له (الفريد) الظفيري بإخراجه من البلد، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي على رجليه أمامه وليس معه إلّا المرْوَحة وذلك في أشد الحر من الصيف، فهمَّ الفارس بقتله على الطريق، فكفّ الله تعالى يده عنه لما أصابه من الرعب والخوف العظيم. وخلّى سبيل الشيخ.

قيل إن عثمان بن معمر هو الذي أمر الفارس بقتل الشيخ، وكذّب بعضهم ذلك.

فسار الشيخ محمد إلى الدرعية[1]، وكان ذلك سنة ستين بعد المائة والألف، ووصل إليها وقت العصر فنزل في بيت (عبد الله بن سويلم العريني) فلما دخل عليه ضاقت به داره، وخاف على نفسه من محمد بن سعود صاحب الدرعية، فوعظه الشيخ، وسكن جأشه وروعه، وقال: سيجعل الله لنا ولك فرجاً، فاستقرّ فأراد أن يخبر محمد بن سعود بحاله ويرغبه في نصرته؛ فالتجأ إلى أخويه (مشاري) و(ثنيان) ولدي سعود، وزوجته (موضى بنت أبي وحطان) من آل كثير، وكانت ذات عقل وفهم، فأخبروها بحال الشيخ وصفته[2] من الحثّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقذف الله تعالى محبة الشيخ في قلبها فأخبرت زوجها

---

(1) يسميها بعض أصحاب المجلات اعتماداً على كتب الفرنجة: «دربة» و«دربجة» و«ضرعية». وكل ذلك تحريف ناشئ من قلة التدقيق والتحقيق.
(2) في الأصل: وصنعته.

محمد بن سعود بحاله وقالت له: إن هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله تعالى إليك، فأكرمه وعظّمه واغتنم نصرته. فقبل قولها، وألقى الله تعالى محبته في قلبه، ورغبوا محمد بن سعود في زيارته لعل ذلك يكون سبباً لتعظيم الناس له وإكرامه؛ فسار محمد بن سعود إليه فلما دخل عليه في بيت ابن سويلم رحّب به وقال: أبشر بالخير والعزّ والمنعة. فقال له الشيخ: وأنا أبشّرك بالعزّ والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد، وهذه كلمة «لا إلٰه إلّا الله» من تمسّك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم. ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله ﷺ، وما دعا إليه، وما عليه أصحابه من بعده في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى، وبأنّ كل بدعة ضلالة؛ وأخبره أيضاً بما عليه أهل نجد من البدع والجور والاختلاف والظلم.

فلما تحقق (محمد بن سعود) المصالح الدينية والدنيوية فيما ذكره الشيخ؛ قبل ذلك، وقال له: يا أيها الشيخ! إن هذا دين الله ورسوله ﷺ الذي لا شك فيه، فابشر بالنصرة لما أمرت به، وبالجهاد مع خالفك؛ ولكن أشترط عليك شرطين: الأول إذا نحن قمنا بنصرتك، والجهاد في سبيل الله تعالى وفتح الله لنا البلاد؛ فلا ترحل عنّا ولا تستبدل بنا غيرنا. والثاني إن لي على أهل

الدرعية خراجاً آخذه منهم وقت الثمار، فلا تمنعني من أخذه منهم. فقال له الشيخ: أما الأولى فامدد يدك. فمدها وقبضها وقال له: الدم بالدم والهدَم بالهدَم[1]؛ وأما الثانية فلعل الله تعالى يفتح عليك الفتوحات فيعوّضك من الغنائم ما هو خير منه. فبايع محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى استقامة الشعائر؛ فقام الشيخ ودخل معه البلد فلما استقرّ في الدرعية أتى إليه من البلاد من كان ينتسب إليه من رؤساء (المعامرة) وغيرهم، وهاجر إلى الدرعية من حول عثمان بن معمر من الناس لما علموا نصرة الشيخ.

فلما علم عثمان بن معمر صاحب العيينة أن محمد بن سعود قد نصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن أهالي الدرعية أيّدوه وفرحوا به، وأنه هاجر إليه من كان في بلده، وأن أمره قد تأيد،

---

(1) أي دمي دمك وهدمي هدمك قال أبو عبيدة: كانوا في الجاهلية الأولى إذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم، وعددوا منافع النار ودعوا على ناقض تلك اليمين والناكث لذلك العهد بحرمان تلك المنافع ويتصافحان عندها ويقولون: «الدم الدم الهدم الهدم» والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم. والهدم اسم البناء المهدوم. أي فما هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا. وعبروا على استعمال ذلك يتوارثونه إلى أن أتي الله بالإسلام وكان الحلف بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار فقال صلوات الله وسلامه عليه لهم: «الدم الدم والهدم الهدم» (أيمان العرب في الجاهلية. لأبي إسحاق النجيرمي).

ندم على ما فعل من إخراج الشيخ محمد من بلده، وعدم نصرته، وخاف على نفسه عواقب الأمور فركب مع عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها، وسار إلى الشيخ محمد. فلما قدم عليه حثّه على الرجوع معه، ووعده بالنصرة، فقال الشيخ: الأمر مفوض إلى محمد بن سعود فإن رخصني على الرجوع معك فقد ذهبت معك، وإن أراد الإقامة عنده أقمت، ولا أستبدله بغيره وقد تلقاني بالترحيب والقبول والنصرة، إلا أن يأذن لي، فأتى عثمان بن معمر إلى محمد بن سعود يسترخص للشيخ الذهاب، فأبى عليه ولم يجد عثمان إلى ما أتى إليه سبيلاً، فرجع إلى بلده، وندم ندماً عظيماً.

وكان أهل الدرعية يومئذ في غاية الضيق والحاجة، وكانوا يحترفون لأجل معاشهم، ومع ذلك فقد كانوا يجتمعون في مجلس الشيخ لسماع الحديث والوعظ، ويلازمون على ذلك.

قال الفاضل ابن بشر النجدي في تاريخه[1]: ولقد شاهدت

---

(1) يلاحظ: أن الأستاذ قد تصرف في عبارة ابن بشر وأوردها مختصرة ولكن قوله: «ولقد شاهدت ضيقهم في أول الأمر» لم أعثر عليه في كتابه، وهو يوهم أنه كان في زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه وليس الأمر كذلك...

وعبارة ابن بشر في كتابه عنوان المجد (ج 1 ص 16 و17) الذي طبع الجزء الأول منه في بغداد سنة 1338هـ: «ولما كثر الوافدون عند الشيخ ضاق بهم العيش وشدّة الحاجة وابتلوا في ذلك أشد بلاء فكانوا في الليل يحترفون ويأخذون الأجرة، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس التفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه

ضيقهم في أول الأمر ثم رأيت الدرعية بعد ذلك في زمن سعود وما عند أهلها من الأموال الكثيرة وكثرة الأموال والأسلحة المحلاة بالذهب والفضة والخيل والجياد والنجائب العمانيات والملابس الفاخرة وغير ذلك من أسباب الثروة التامة. بحيث يعجز عن عده اللسان، ويكلّ عن تفصيله البيان، ونظرت إلى موسمها يوماً في الموضع المعروف بالباطن فرأيت موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب آخر، فرأيت من الذهب والفضة والأسلحة والإبل والغنم والخيل والألبسة الفاخرة واللحم والحنطة وسائر المآكل ما لا يمكن وصفه. والموسم ممتد مد البصر. وكنت أسمع أصوات البائعين والمشترين وقولهم بعت واشتريت كدوي النحل. فسبحان من لا يزول ملكه.

ولما استوطن الشيخ محمد في الدرعية وكان أهلها في غاية الجهالة والتهاون بالصلاة والزكاة وشعائر الإسلام، علمهم الشيخ معنى «لا إلٰه إلّا الله» وأنها نفي وإثبات فلا إلٰه ينفي جميع المعبودات وإلا الله يثبت العبادة لله وحده لا شريك له. ثم علمهم أصولاً وهي معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالّة على ربوبيته وإلٰهيته كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخّر

الله، ويتذاكرون بعقائد السلف إلى أن أتاه الله بالرزق الواسع بعد الشدّة والامتحان. ولقد رأيت الدرعية بعد ذلك في زمن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى وما فيها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة... الخ الخ» فتدبر!

بين السماء والأرض وبسائر الأدلة كالقرآن ومعرفة الإسلام وأنه تسليم الأمر لله تعالى والانقياد لأوامره، والانزجار عن مناهيه، ومعرفة أركان الإسلام التي بني عليها، وما عليها من الأدلة كالقرآن ومعرفة النبي ﷺ واسمه ونسبه ومبعثه وهجرته، ومعرفة أول ما دعا إليه وهو كلمة لا إلٰه إلّا الله، ومعرفة البعث وأن من أنكره أو شكّ فيه فهو كافر وما على ذلك من الدلائل، ومعرفة دين محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وهو التوحيد وسائر العبادات، وبالغ في منع الاستغاثة بمخلوق كائناً من كان.

فلما استقرّ ذلك في قلوبهم بعد الجهالة أشرب في قلوبهم حبّ الشيخ. ثم إنه كتب إلى أهل بلاد نجد وإلى رؤسائهم وقضاتهم: يطلب الطاعة والانقياد فمنهم من أطاعه ومنهم من عصاه، واتّخذه سخرياً، واستهزأ به، ونسبه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم مَنْ رماه بأشياء قبيحة.

ثم أمر الشيخ أهل الدرعية بالمقاتلة معهم فامتثلوا أمره، وقاتلوا أهل نجد والإحساء دفعات كثيرة إلى أن أدخلوهم إلى طاعتهم، وحصلت إمارة بلاد نجد وقبائلها جميعاً (لآل سعود) بالغلبة.

وكان الشيخ كثير العطايا بحيث كان يهب كل ما غنمه الجيش

مع كثرته إلى رجلين أو ثلاثة[1]، وكانت الغنائم تسلم بيده، ثم هو يضعها حيث يشاء، ويعطيها إلى من يشاء، ولا يأخذ أمير نجد شيئاً من ذلك إلّا بأمره، ولا يصدر جيش ولا يكون رأي للأمير إلّا بقوله ورأيه، وكانت طاعة أهل نجد للشيخ كطاعة الصحابة للنبي ﷺ، ولم يتفق لأحد من العلماء مثل ما اتّفق له من طاعة القوم وانقيادهم لأمره، وذلك من العجائب، وهو عندهم بمنزلة أحد الأئمة الأربعة إلى يومنا هذا، وإذا ذكره أحد بسوء قتلوه.

ولمّا فتحوا (الرياض) من بلاد نجد، واتّسعت بلادهم، وأمنت الطرق، وانقاد لهم كل صعب، فوَّض الشيخ أمور الناس وأموال الغنائم إلى عبد العزيز الأمير وانسلخ الشيخ، وتفرّغ للعبادة وتعليم العلم، ولكن لا يقطع عبد العزيز الأمير ولا أبوه[2] أمراً ولا ينفذ حكماً إلّا بأمر الشيخ محمد.

وتُوفي الشيخ المشار إليه سنة ست بعد المائتين والألف، وهي السنة التي غزا فيها (سعود بن عبد العزيز) ناحية جبل شمّر، وأخذ أهله، وكسب منهم أموالاً كثيرة منها ثمانية آلاف بعير، وقتل منهم عدة رجال فأخرج خمسها وقسم الباقي على جيشه.

وكان الشيخ محمد من بيت علم في نواحي نجد. وكان أبوه

---

(1) كذا. وفي تاريخ ابن بشر «وكان يعطي الجزيل بحيث إنه يهب خمس الغنيمة العظيمة لاثنين أو ثلاثة... الخ».

(2) في تاريخ ابن بشر (ج 1 ص 18) «محمد وابنه عبد العزيز».

الشيخ عبد الوهاب (عالماً فقيهاً على مذهب الإمام أحمد. وكان قاضياً في بلد (العيينة) ثم في بلد (حريملة) وذلك في أول القرن الثاني عشر. وله معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما وله أسئلة وأجوبة. وكان والد عبد الوهاب (الشيخ سليمان) عالماً فقيهاً بل أعلم علماء نجد في عصره، وله اليد الطولى في العلم. وانتهت إليه رياسة العلم في نجد: صنف ودرس وأفتى، إلا أن (الشيخ محمداً) لم يكن على طريقة أبيه وجده، بل كان شديد التعصّب للسنّة، كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء.

والحاصل: أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها، وسائر أركان الدين، ويأمر بالجماعات. وقد جدَّ في تعليم الناس، وحثهم على الطاعة، وأمرهم بتعليم أصول الإسلام وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسنتها، وسائر أحكام الدين وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشاءين في معرفة الله تعالى ومعرفة دين الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليه من الأدلة. ومعرفة النبي محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لا تنبغي إلا لله تعالى كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكّل والإنابة وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلاً بأحكام دين الإسلام بل كلهم تعلموا ذلك

إلى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواصّ منهم. وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة.

وله من التصانيف كتب كثيرة. منها: كتاب التوحيد. وتفسير القرآن. وكتاب كشف الشبهات. وغير ذلك من الرسائل والفتاوي الفقهية والأصولية. أخذ العلم عن عدة مشايخ. منهم: (والده) والشيخ (محمد بن حياة السندي المدني)[1] والشيخ (عبد الله بن سيف) وغيرهم. ويقال إنه قدم إلى (بغداد) وأخذ عن (صبغة الله الحيدري)[2]! وأعقب أربعة أولاد كلهم من أجلّة العلماء. وهم الشيخ (حسين) والشيخ (عبد الله) والشيخ (علي) والشيخ (إبراهيم) تغمّدهم الله برحمته أجمعين آمين.

---

(1) توفي سنة 1206 هـ وكانت له اليد الطولى في علم الحديث ورجاله وله فيه مصنفات منها تحفة المحبين في شرح الأربعين النووية. وتحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

(2) لم يصح خبر دخوله بغداد. ومن الغريب أيضاً ما ذكره الأستاذ محمد فريد وجدي المصري في «دائرة المعارف» من نبأ سفره إلى الآستانة، ولا أعلم له سابقاً في ذلك. وفوق كل ذي علم عليم!

تتمة تاريخ نجد

كتبها

الشيخ سليمان بن سحمان

من علماء نجد

مع ملحق بقلم الشيخ سليمان بن سحمان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده.

أما بعد، فأقول: إعلم أيها الواقف على ما نقله العلامة السيد محمود شكري الألوسي في أنساب قبائل عسير أنه لم يحقق البحث في أنسابهم وقبائلهم حيث زعم أن الأمارة والشيخة في ألـمَع وليس الأمر كذلك، فإن ملوك عسير منْ مُغَيْدٍ وعسير قبيلتان[1]: ألْمَع ومساكنهم وقراهم في جبال تهامة مما يلي الخبْت وأما القبيلة الثانية من عسير فهم مُغَيدٌ وهم عسير السرات وهم قبائل شتى وملوكهم إذ ذاك من قبيلة يقال لهم بنو مالك ثم من مغيد ورئيسهم والقائم بأمرهم في زمن الدرعية وهو عبد الوهاب أبو نقطة، وكان أميراً لآل سعود وساعدهم بالقيام في هذا الدين ونصرته والجهاد فيه وكانوا على ذلك حتى مشت عليهم الدولة المصرية. ومحل بلدهم ومسكنهم في بلد يقال له طبب. ثم

---

(1) كذا الأصل.

صارت الإمارة بعده في آل مُجَثَّل سعيد بن مُسلَّط وأخوه علي، وقد صارت لهم دولة عظيمة وجهاد في سبيل الله حتى ساروا إلى اليمن وفتحوا المخا. وفي ذلك يقول الإمام أحمد بن علي بن مُشرَّف:

وفتح المخا بالسيف للناس آية　　　وذل وزلزال لأهل التمرّد

ثم توفي علي بن مجثل رحمه الله وصار الأمر بعده إلى عائض بن مَرْعي وذريته. وآل مرعي وآل مجثل بطنان من بني مالك وهما آل يزيد وآل تمام وبلادهم ومحلتهم التي سكنوا فيها قرية يقال لها السِّقا.

والسقا:

بلاد بها نيطت علي تمائمي　　　وأول أرض مس جلدي ترابها

إذا علمتَ ذلك فقبائل عسير من همدان أو من شنوءة من الأزد ونسبهم يرجع إلى قحطان كما قال ابن مشرف رحمه الله تعالى:

ولا تنس ذا الحي اليماني فإنهم　　　لشيعة أهل الحق بالحق مهتدي
قبائل من همدان أو من شنوءة　　　من الأسد أتباع الرئيس المسود

وقال شاعرهم المشهور وهو علي بن الحسن وهو ممن قرأ في الدرعية على أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وأخذ العلم عنهم وله في العلم اليد الطولى. فقال في قصيدته التي ذكر فيها مفاخر قومه وانتصارهم على الدولة المصرية حين مشوا بعساكرهم الطاغية الباغية إلى بلاد عسير وملكهم إذ ذاك عائض بن مَرْعي رحمه الله فهزمهم الله على يده. قال:

وما السر إن أبدلت قصراً مشرفاً ... وعرشاً وفرشاً بالعرا والتلدد

فقالت[1] رويداً يا أبا سعد إنما ... أضاق بنا ذرعاً شديد التوعّد

عرمرم جيشاً سيق من مصر معنفاً ... يهتك أستار النساء ويعتدي

ويسبي ذراري الأكرمين جبارة ... وينظم سادات الرجال بمقلد

فقلت لها من دونكن ودونهم ... ضروب حماة بالحديد المهند

ضروب تزيل الهام عمّا ربت به ... وتظهر مكنونات أجواف أكبد

وطعناً ترى نفذ الأسنّة لُمَّعاً ... من القوم يعوي جرحها لم يسدّد

قفي وانظري يا أم عبد معاركاً ... يشيب لها الولدان من كل أمرد

وإن كنت عنها في البعاد فسائلي ... ففيها أسود من (مُغَيْد) بمرصد

وفيها ليوث (الأزد) من كل شيعة ... يصالون نار الحرب ناراً لمفسد

وفيها رئيس (عائض) حول وجهه ... حياض المنايا أصدرت كل مورد

إلى أن قال:

فيا لك من يوم الحفير وما بدا ... لريدة من طول الغمام المشيّد

ويا لك من يوم اللحوم سباعه ... شباع وطير الجو تحظى المشهد

ويا لك من أيام نصر تتابعت ... بها من شواظ الحرب ذات التوقّد

إلى أن قال:

بأيدي رجال من (شنوءة) جدهم ... رقي بهم مجداً إلى حذو فرقد

تداعى عليهم من صميم أصولها ... ثبات وبحر كالمحيط المزبد

ففاخرْ بهم يا خاطباً فوق منبر ... على الناس فاقوا بالحسام وسؤدد

ليهنَ بني قحطان مجد فخارها ... مدى الدهر في نادٍ بواد وأبلد

---

(1) الضمير يعود إلى (أم عبد) في مطلع قصيدته.

هذا ملخص ما ذكر من أنسابهم. والمقصود أن شيخة عسير وإمارتهم لم تكن في ألمع بل كانت في مغيد كما ذكر ذلك مفصلاً. ولما ذكر رحمه الله أن شيخة عسير وإمارتهم في ألمع ذكر بعد ذلك من كان في ولايتهم ممّن يليهم، فذكر غامِد وَزَهْران وهاتان القبيلتان من أعمال الحجاز وكان الأولى به أن يذكر ما يلي بلاد عسير ممّن هم ملتحقون بهم داخلون تحت إمارتهم وطاعتهم ومنافع بلادهم التي تجبي إليهم زكواتهم: شهران، وناهس، وقراهم وقبائلهم. فأما (بيْشَة) فهي من أحسن القبائل وأوسعها وأكثرها نخيلاً وأكثر أهل الحجاز إذا حصلت ثمارهم يأتون إليهم من كل البلاد ويقيمون فيها أياماً وليالي لخصبها وسعة أرزاقها وضيافة من يفد إليهم من أولئك القبائل، ثم يمتارون منها ما يعيشون به برهة من الزمان. وقراهم فيما بلغنا تنيف على أربعين قرية. وفيها قبائل شتى: فمنهم بنو السَلول وبلادهم قرية تسمى النقيع وقرية أخرى تسمى الروشن. وفي بيشة قبيلة تسمى معاوية، وبلادهم تسمى الروشن أيضاً، ونمران وهي محلة الأمراء من جهة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود اليوم وقد كان أمير بيشة في وقت الدرعية من جهة آل سعود سالم بن شكبان وهو من السابقين الذين قاموا بنصرة هذا الدين وإظهار كلمة التوحيد والجهاد في سبيل الله، كما قال علي بن الحسن صاحب اليمن:

فيا راكباً إما لقيت ببيشة ... وما دفعته من ضراب وفَدْفدِ
فسلم على قبر ابن شكبان سالم ... فقد كان قِدْماً قادِماً كل سيد

يحامي عن التوحيد حتى عرا له   من الحتف كأس جرعه ذو تردّد

وفي أعلى بيشة قبائل وقرى. فمن القبائل الساكنين فيها أكلب من خثعم أو من بني تغلب وبلادهم يقال لها الثنْية. ويليهم من القرى تبالة وأهلها بنو عامر وهم الشجران وبنو عوف والشهارية وباديتهم من الفزع من خثعم ويليهم من الحجاز أيضاً قرى وقبائل وهم شمران ويليهم بالقرن وبالاسمر وبالاحمر، وكذلك يليهم من القرى والقبائل التي لا تحصى وهم بنو شهر بادية وحاضرة، وكل هذه القرى والقبائل اليوم في ولاية الإمام (عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود).

وإعلم أنّا لم نذكر تلك القبائل والقرى إلّا على سبيل الإجمال والاختصار لا على سبيل التفصيل لأنا لم نحط بجميع أخبارهم علماً.

ومما يلي بيشة من جهة نجد قرى سُبَيع وقبائلها وهي البلاد المسماة (رَنْية) وكانت بلاداً طيبة كثيرة المياه وفيها نخيل كثير وهواها من أعدل الأهوية وسكانها قبائل من سبيع. وقد أهملهم السيد محمود لما عدّ قبائل سبيع فتعيّن أن نذكرهم ونذكر قراهم. فأما قبائلهم فهم المجامعة والزكور وآل محمد وبريهة وهم أفخاذ كثيرون، والسودة والشماسات والفراعنة والملوح. وأما قراهم فهي الروضة بلد آل قطنان وجيرانهم، والحزم بلد ابن صامل، والعمائر بلد الشماسات والسودة والضرم بلد المجامعة، والأملح

بلد بريهة وآل محمد، وكان أمراءهم آل صامل على تراضٍ منهم وهم اليوم في ولاية الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود داخلون تحت طاعته. ومن قبائل سبيع القريشات وبني ثور وبلدهم الخرمة والوطأة والسلمية، وفيها كثير من الأشراف، وأميرهم الشريف خالد بن منصور بن لؤي، وكان صاحب دين وجهاد في سبيل الله، ومقامه في الإسلام مقام حسن، وكان من أهل الشجاعة والرأي والثبات.

فصل

ومما وقع من الوهم والزلل فيما حرّره السيد محمود الألوسي في تاريخه أنه لما ذكر قبائل أهل نجد وذكر من جملتهم قحطان لم يذكر من قبائلهم وبطونهم وأفخاذهم أحداً. بل أدرج في ذكر قبائل قحطان سُبَيْعاً فتعيّن أن نذكر من قبائل قحطان ما أخبرنا به بعض الإخوان المهاجرين منهم. فقال: أما قحطان فهم عَبْدة وعَبِيدة وآل محمد. فأما عبيدة فهم آل شِفْلُوت والمساردة وآل زيدان والحرقان وآل الجرو وآل مبارك وآل شري وبطون لا تحصى. وأما آل محمد فهم بطون: منهم آل سعد جماعة ابن لُبْدة وهم آل فاضل وآل شايب وآل مسن وآل روق وآل العوى والخَنَافِر والجَحادِر وآل دهيم وآل عاطف. فأما الخنافر فهم آل معلى وآل كليفيخ وآل سبعان وآل قريان وآل قير. وأما آل عاطف فمنهم آل معجبة وآل شريم وآل خامسة والدَّخن والحواصلة. وأما الجحادر فمنهم آل مسعود وآل مسفر وآل مريتع وآل عليان وآل شَبْوَه. وأما آل دهيم

فهم آل عاطف والخنافِر والسحَمَة والمشاعلة وآل عاصم وهم يرجعون في محمود. وأما عبدة فهم قبائل كثيرون ولم يكن عند الناقل لنا تفصيل في ذكر بطونهم وأفخاذهم. وكان منهم عبدة القبيلة التي مِنْ شَمَّر الذين منهم آل رشيد. هذا ما تيسّر لنا تحريره.

فصل

فيما ترك من القرى

فمن بلدان عَسير أبْها. وهي وقراها ست، أسماؤها في لغة عسير الباقية فيهم من لغة حِمْير. كما في الحديث أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أمِنَ اَمْبرّ اَمْصِيام في امْسَفر؟. فأجابه بلغته. فقال ﷺ: «ليس من أمبر أمصيام في أمسفر» وأسماء قرى أبها على لغتهم: امْناضِر وامْقابل وامْفتاحه وامْقرا وامْخشُع وامْنُصب. ومما ترك من وادي الدواسر الفَرَعَه والولأمِين والخَمَاسِين. هذه قرى الوداعين. والقويز قرية المساعرة والنويعمة وسكانها وباديتهم آل بريك. وقرية نَزْوى وسكانها آل أبو سَبَّاع. وقرية الغُمور. وقرية الحنابج [1] وقرية المعتلا للمخاريم، وقرية الشرَافَا، وقرية كمده. وأما السليّل فهو محلات وقرى وسكانها من الوداعين وهم آل محمد وآل حنيش وآل ضويان وآل دواس وآل سويلم. وقرية في الموضع المسمى حِمَام وباديتهم الجماعين والرواشِدِ. وأما الأفلاج فأسماء قراها لَيْلى وهي المبرّز وغصيبة [2] وهي

---

(1) و(2) بياض بالأصل.

محلة العجالين وفيها قصر الإمارة اليوم. والجنيدرية وباديتهم الفرجان ويليها من جهة الجنوب محلة العمار. وأهلها الساكنون فيها ذرية فهيد بن صالح آل مغيرة وفيها غيرهم. وسيح الحامد وهو قريتان جنوبية وشمالية: فبادية الجنوبية آل قينان من آل عمار، والشمالية باديتهم آل نشير من آل عمار ويلتحق بهم من الدواسر الحراجين وأفخاذ أخر من آل عمران. والسيح من أكثر بلدان نجد نخيلاً وعيوناً وأنهاراً، وأكثر سكانها العبيد وهم موال لآل حامد وآل حامد ينتسبون إلى الأشراف. ومن قرى آل عمار أيضاً مروان والرّزيزية وباديتهم الدّغمة. وقرية الخرفة وسكانها قبيلتان: آل نابت وآل درع، وباديتهم الغييثات. والروضة وهي قرية آل مبارك من آل عمار ولهم بادية. ويليهم من الجنوب بلدة الرواعية وهم من الحقبان من عبات الدواسر. ومن قرى الأفلاج أيضاً البديع وهي محلات وباديتهم الصخابرة وآل عواد بطنان من الفرجان وفيه محلة آل أبو علي وباديتهم الشَّكَرَه. وأما بلدان الضلع فبلاد الغيل وباديتهم القبابنة من السهول. ومن قراها حراضة والستارة والحمر وواسط. وأما الأحمر فباديتهم الشكرة من الدواسر والشطبة وباديتهم من الخضران من الفرجان والهدار وأكثر أهلها النتيفات وآل بريك. ومن قبائل الدواسر آل حسن وهم عدة بطون. ومن الدواسر الهواشلة والهواملة. ومن قرى الدواسر مشيرفة وسكانه الغييثات وأميرهم محمد أبو وقيان.

فصل

في ذكر المنازل والقرى التي حدثت في نجد

بعد ولاية الإمام (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود)، وذلك بعد أن منّ الله على كثير من بادية أهل نجد بمعرفة دين الإسلام والدخول فيه وذاقوا حلاوته بعد أن كانوا قبل ذلك في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء لا يعرفون إلّا ما كانوا عليه من سوالف الآباء والأجداد وسفك الدماء ونهب الأموال وقطع الطريق وتحكيم طواغيتهم فيما شجر بينهم، وها أنا أذكرها على سبيل التفصيل. فأما قرى عتيبة ومنازلهم فمنها الغطغط وهو أكبرها وأكثر سكانها عدداً. وكان ابتداء عمارته سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف وهو من أراضي جوّ المتصلة به. وهو منزل هوذة بن علي الذي لبس تاج العرب والذين سكنوه اليوم قبائل شتى. وهم من بَرْقا المِقِطَة والرُّوسان والدعاجين والنِّفَعَة والدّغالبة والعصمةَ ولهم بادية كثيرون وأميرهم اليوم (سلطان بن بجاد بن

حميد). وهو الذي فتح الله على يديه الطائف ومكة المشرفة لما سار بأمر الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل أعزّه الله بطاعته إليهما فهدم ما فيهما من القباب المبنية على القبور المعبودة من دون الله. ومن أعظمها القبة التي بنيت على قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ثم لما فتح الله جدة على يد الإمام هدم جميع ما فيها من القباب وهدم سائر ما بقي في بلد الله الحرام من ذلك. ثم بعث إلى المدينة بعثاً فهدم جميع ما فيها من القباب وذلك من فضل الله ومنّته فلله الحمد والمنّة. ومنها قرية عَرْوَى وسكانها من المِقطة والنّفَعَة وأميرهم جِهْجاه بن بجاد بن حميد. ومنها قرية سَنام وسكانها العِصمةَ وأميرهم سلطان أبو العلاء. ومنها قرية الروضة وسكانها من الشَّيابين وأميرهم ماجد بن ضاوي بن فهيد. ومنها قرية الحفيرة في العَرْض وسكانها الدعاجين وأميرهم الهيضل. ومن قبائل عتيبة الرّوقَة. ومن قراهم الداهنة وفيها عدد كثير من الروقة وأميرهم عبد الرحمن بن تركي بن ربيعان من ذوي ثبيت ولهم بادية كثيرون. ومنها قرية ساجر وهم من الروقة أيضاً من الحَنَاتِيْش وأميرهم بندر بن جعيلان ولهم بادية كثيرون. ومنها قرية عسيلة وهم من الروقة أيضاً من طلح أميرهم نافل بن طُوَيْق ولهم بادية كثيرون. ومنها الصُّوْح وسكانه الغربية من الروقة. ومنها قرية عرجا وسكانها من الروقة وهم الدّلابحة، والحماميد ولهم بادية. ومنها قرية نِفِي وهم من الرّوقَة وهم

المزاحمة والمراشدة والغبيّات ولهم بادية كثيرة وأميرهم تركي الضِّيْط. ومنها قرية الحَيْد وأهلها من الروقة من الحناتيش وأميرهم فَلاَح بن مُحَيّا. فهذه عدة قراهم وقبائلهم.

وأما مطير فمن أكبر قراهم بلدة الأرطاويَّة وفيها عدد كثير وقبائل من شمّر وغيرهم ولهم بادية كثيرون وأميرهم فيصل بن سلطان الدويش من الموَهة وكان ابتداء عمارتها سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف. ومنها قرية مبايض وفيها قبائل من مطير كثيرون ولهم بادية وأميرهم طامي القريفة. ومنها قرية بُوْضا وسكانها من مطير ولهم بادية وأميرهم كميخ الهَفْتا ومنها قرية اللّصافة وسكانها من مطير من الجبلان وأميرهم صاهود بن لامي ولهم بادية ومنها قرية العليا وسكانها من مطير وأميرهم تريحيب بن شقير من الدُّوْشان وفيها قبائل غيرهم ولهم بادية كثيرة ومنها قرية السفلا وسكانها الصَّهَبَة من مطير ورئيسهم هائف الفُغُم ولهم بادية كثيرة ومن قبائل مطير بريه وبني عبد الله ومن قراهم الفروثي وسكانه من الصِّعْران وأميرهم مشاري بن بصيّص ولهم بادية كثيرون ومنها قرية مليْح وسكانها من بني عبد الله وأميرهم علّوش بن سُقَيّان ولهم بادية ومنها قرية العمار وسكانها بنو عبد الله وأميرهم عبد المحسن بن جبرين ولهم بادية ومنها قرية الثامرية وسكانها الحمادين من الصعران وأميرهم يعقوب الحميداني ولهم بادية ومنها قرية وضاخ وسكانها من بني عبد الله وأميرهم نائف بن ضمنه

ولهم بادية ومنها قرية الأثلة وسكانها من بني عبد الله وأميرهم [1] ابن شرار ومنها قرية الأرطاوي وسكانها من بني عبد الله وأميرهم قعدان بن درويش. وأما حرب فمن قراهم بلد دخنه وهي أكبرها وأكثرها عدداً وهم قبائل شتى وأميرهم عائد البهيمهِ من بني سالم ولهم بادية كثيرون. ومنها قرية الشبيكية وسكانها من بني سالم وأميرهم هندي الذويبي ولهم بادية كثيرة. ومنها قرية الفوّارة وسكانها من بني سالم أيضاً وأميرهم حجاب بن نجيب ولهم بادية. ومنها قرية الدليمية وسكانها من بني سالم أيضاً وأميرهم زين بن جُديع ولهم بادية. ومنها قرية القُرين وسكانها من بني سالم أيضاً وأميرهم عبد المنعم بن ناقي. ومنها قرية مسكة وسكانها من بني سالم وأميرهم حجاب بن خريص ولهم بادية. ومنها قرية القُوارِه وسكانها من بني علي وأميرهم. . . . . [2] ومنها . . . . [3] ومنها قرية البُرُوْد وسكانها من بني علي وأميرهم ابن حماد ولهم بادية كثيرة. ومنها قرية خصيبة وسكانها من بني علي. ومنها قرية اقبْه وسكانها من بني علي ولهم بادية كثيرون وأميرهم عبد المحسن العَرَم.

وأما شَمَّر فمن قراهم الأجفر وسكانها من عَبْدة وغيرهم

---

(1) بياض بالأصل.
(2) بياض بالأصل.
(3) بياض بالأصل.

وأميرهم ندا بن نهيّر ولهم بادية كثيرة. ومنها قرية التَّيِّم وسكانها السّويد وأميرهم فريح الْحِمِزي ولهم بادية. ومنها قرية الحَفير وسكانه من سِنْجَارِة وأميرهم كاتب النماصي، ولهم بادية. ومنها أم القلبان وسكانها من سِنْجَارِةَ أيضاً، وأميرهم غضبان بن رِمَال، ولهم بادية كثيرة. ومنها قرية متالِع، وسكانها من السويد أيضاً، وأميرهم فريح الهِرْبيد، ولهم بادية ومنها قرية الروضة وسكانها الْغِيثَة من شَمَّر، ولهم بادية وأميرهم. . . . . [1]. ومنها قرية القَصير، وسكانها من سنجاره أيضاً، وأميرهم حوّاس بن خِمْسَان، ولهم بادية. ومنها قرية الصفرا وسكانها من الأَسْلَم، وأميرهم مغيلث، ولهم بادية. ومنها الثعيلبي، وسكانها من الأَسْلَم، وأميرهم سلطان، ولهم بادية. ومنها العُظَيْم وسكانه من الأَسْلَم أيضاً، وأميرهم ابن لغيصم.

وأما عِنِزَة فقد استوطن فريق منهم الرديهة، وسكانها الغضاورة، وأميرهم عيد بن سويلم.

وأما قحطان فمن قراهم الرَّيْن، وهي قريتان، وسكانها ابن قرملة وجماعته وابن سفران وجماعته وابن سعيدان وجماعته، وأميرهم ناصر بن جفين، ولهم بادية كثيرون. ومنها قرية صَبْحَا وفيها قحاطين ومعهم عائض الحميداني من يام، ولهم بادية

(1) بياض بالأصل.

وأميرهم[1] . . . . وفي الحصاة ثلاث قرى: أحدها خيم وأميرهم ابن غيث والحلقة وقرية ابن حُوَيل من آل محمد. ومن قرى قحطان وهي قرية كبيرة المسماة بالهياثم وسكانها العاصم وأميرهم فيصل بن حشر، ولهم بادية كثيرة. ومنها قرية المنيصف، وسكانها آل مسعود وأميرهم مُعِيْض بن عبّود ولهم بادية كثيرة. ومنها قرية تسمى الزبارة في لِبَن قريب من بلد الرياض وسكانها آل خامسة. ومنها قرية الجفير وسكانها آل صفيان من آل عاصم وأميرهم ابن سدحان.

وأما سُبَيْع فمن قراهم الضّبَيْعةِ وهي أكثر قراهم عدداً، وسكانها من بني عامر. وعجمان الرخم وأميرهم علي بن هديهد، ولهم بادية كثيرة لم يستوطنوا منزلاً إلى الآن. ومنها قرية الأخضر، وسكانها الأعِزَّة وأميرهم الضويري بن علّوش بن جِفْران. ومنها قرية الحِسِي وسكانها العرينات وأميرهم فدغوش ابن شَوْيِه.

وأما السهول فمن قراهم المشَاش، وسكانها آل محيميد والسلح ورويغب وسكانه أيضاً آل مُحَيْميد وآل منجل، كذلك بلد الرويضة سكانها آل محيميد. فثلاث هذه القرى جميع من فيها من آل محيميد. ومنها البدع وسكانها الظهران وأميرهم برجس بن جليدان بن معدل.

---

(1) بياض بالأصل.

وأما العجمان فمن قراهم الصّرّار وسكانها آل ناجعة ورئيسهم ضِيْدَان بن حِثْلَين ولهم بادية. ومنها حَنِيْن وسكانه آل سفران ورئيسهم ابن منيخر ومنها قرية عريعرة وسكانها آل ضاعن وأميرهم مانع بن جمعة. ومنها دليمر وسكانها من آل سفران وأميرهم. . . . .[1] . . . . ومنها الصحاف. ومنها مغطي وسكانها آل مفلح، وأميرهم محمد بن دَبْلان. ومنها العقير وهو قريب من الصّرّار وأميرهم صالح بن عواد. ومنها أم رُبَيْعة وسكانها آل عرجا، وأميرهم ملهي بن قضعان. ومن قراهم سميح، وسكانه قبيلة من آل شامر وأميرهم ابن زنيفر.

وأما بنو هَاجِر فمنْ قراهم عين دار ورئيسهم ابن خليفة محمد بن ناصر. ومنها صلاصل وأميرهم علي بن عائذ. ومنها يكرب وسكانه آل محمد من بني هاجر، وأميرهم ابن طغرة. ومنها قودة وسكانها المخضبة من بني هاجِر، وأَميرهم ابن شافي.

وأما بنو خالد فمن قراهم الدفي وسكانه قبيلة يُسَمَّون العمائر وأميرهم فارس بن محمد ولهم بادية كثيرون لم يستوطنوا إلى الآن. ومن قراهم الأبيض وسكانه آل صُبَيْح وأميرهم محمد بن عجران.

وأما العوازم فمن قراهم مصلخ وأهله البريكات وأميرهم

(1) بياض بالأصل.

حبيب بن جامع. ومن قراهم. . . . . [1] . . . وأميرهم محمد بن معتقه. ومن قراهم تاج وسكانه الملاعبة وأميرهم مبارك الملعبي. ومن قراهم عتيق وأهله الهدالين وأميرهم شويمي بن سويحان. ومن قراهم الحِسِيّ وسكانه. . . . . [2] . . . وأميرهم. . . . . [3] . . . والعوازم بادية كثيرة ولهم أموال من الإبل والغنم ولم يستوطنوا قرى إلى الآن.

وأما زِعْب فمن قراهم القرادي وسكانه الغوانم وأميرهم منديل بن سحوب. وبقيتهم لم يستوطنوا منزلاً غير هذه القرية.

وأما آل مرّة فمن قراهم يبْرين وسكانه آل جابر وأميرهم حمد المرضف وتسمى قريتهم الخَن. ومن قراهم البدع وسكانها آل بحيح، وأميرهم راشد بن نديلة. ومن قراهم مباك، وسكانها آل عذبة. وأميرهم سعود بن نقادان. ومن قراهم السكك وسكانها آل جفيش. وأميرهم حمد بن فاضل.

وأما يام فقد استوطنوا قريتين من يدمة، ولهم قرية أيضاً في الخرج تسمى الحريدي. وأميرهم محمد بن ضبية.

هذا آخر ما أردنا إيراده من ذكر قرى المهاجرين الذين تركوا

---

(1) بياض بالأصل.

(2) بياض بالأصل.

(3) بياض بالأصل.

البادية ونزلوا في القرى التي حدثت بعد ولاية الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود.

وإذا تحققت ذلك. وعلمت أيها الواقف على هذه الأوراق فاعلم أنّا لم نستقص جميع قرى نجد على التفصيل. بل أجملنا أكثر قراها كما أجملها السيد محمود شكري. وفصلنا بعض قرى نجد حيث فصل في بعضها. وجميع من ذكرنا داخلون في راية الإمام عبد العزيز من صَبْيا إلى الحجاز. ومن الحرمين إلى البلقا، وما في هذه الأمكنة من القرى والبوادي التي يعزّ ذكرها من جهينة وبليّ وحرب. ومن القنفذة إلى ينبع ورابغ. ومن بلاد عسير إلى الجوف ومن جدة إلى ساحل البحرين كلهم آمنون مطمئنون لا يخشون إلّا الله. والمسافرون إلى هذه القرى والمجتازون بأولئك البوادي والأعراب الذين ذكرناهم آنفاً الذين لم يهاجروا مع من هاجر منهم لا يأخذون خفيراً يكونون في ذمته وجواره وحمايته عن عدوان اللصوص وقطاع الطريق الذين كانت هذه أخلاقهم قبل ولاية الإمام عبد العزيز أعزّه الله بطاعته على ما كانوا عليه في جاهليتهم. كما قال الشاعر:

فيوماً على نجد وغارات أهله ويوماً بأرض ذات شث وعرعر

وإذا تحققت ذلك كذلك فلا غرو من هذا ولا عجب. فإن الإمام عبد العزيز ولله الحمد والمنّة قد سار على آثار آبائه وأجداده الذين أقاموا أَوَدَ هذا الدين بعد اعوجاجه ونصروه حتى علا أمره

وعزّت كلمته وجاهدوا في الله حق جهاده. كما قال الشيخ أحمد بن علي بن مشرّف رحمه الله تعالى:

فكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا ... وما بين جعلان إلى جنب مزبد
ومن عدن حتى تنيخ بأيليا ... قلوصك من مبدا سهيل إلى الجدي
وقد طهّروا تلك الديار وطرّدوا ... ذوي الشرك والإفساد كل مطرّد
بأمر بمعروف ونهي عن الرّدي ... وبالصلوات الخمس للمتعبّد
وقد هدموا الأوثان في كل قرية ... كما عمّرت أيديهم كل مسجد

وقال قبل ذلك:

وكم سنّة أحيوا وكم بدعة نفوا ... وكم هدموا بنيان شرك مشيّد

إلى أن قال:

فكن ذاكراً فوق المنابر فخرهم ... ونادِ به في كل نادٍ ومشهدِ

تنبيه

إعلم وفّقك الله لطاعته وأحاطك بحياطته أيها المنصف المتعرّي عن ثوبي الجهل المركب والتعصب، أن السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله وعفا عنه لما ألّف تاريخ نجد ذكر فيه أن مذهب أهل نجد في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة. وأن طريقتهم هي طريقة السّلف التي هي الطريق الأسلم. بل الأحكم. فذكر ذلك بالأدلة الشرعية مفصلاً. وذكر قبل ذلك معتقد أهل نجد وما كانوا عليه وأنهم لم يخرجوا عمّا كان عليه السلف الصالح والصدر الأول. وقد ذكر ذلك في صفحة (44 إلى 52).

فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه هناك. فإنه قد أجاد فيه وأفاد، ثم نقض ذلك في آخر تاريخه لما ذكر ولاية سعود بن عبد العزيز بعد أبيه وأثنى عليه ثناء جميلاً. وأعقب ذلك بقوله: «بَيْدَ أنه منع الناس عن الحج، وخرج على السلطان، وغالى في تكفير من خالفهم وشدّد في بعض الأحكام، وحملوا أكثر الأمور على ظواهرها. كما غالى الناس في قدحهم. والأنصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذي ذهب إليه علماء نجد وعامتهم من تسميتهم غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله، ومنعهم الحج. ولا التساهل الذي عليه عامة أهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله وبناء الأبنية المزخرفة بالذهب والفضة والألوان المختلفة على قبور الصالحين والنذر لهم. وغير ذلك من الأمور التي نهى عنها الشرع».

فانظر رحمك الله إلى هذا الكلام بعد ذكره لمعتقدهم وحسن سيرتهم في الإسلام والمسلمين حيث نقض ما أبرمه هناك بما حكاه هاهنا عن أهل الإسلام مما هم بريئون منه. وهذا يخالف ما بلغنا عنه وتحققناه. فلعله وقع في حال ذهول وغفلة والله يغفر له. وقد ذكر قبل ذلك رسالة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد دخولهم مكة المشرفة. فذكر فيها ما يناقض ما ذكره في هذا الكلام ويبطله ويعود عليه بالهدم والرد. وأما قوله: «وغالى في تكفير من خالفهم» فاعلم رحمك الله أن هذا القول مما

افتراه علينا أعداء الله ورسوله الذين يصدّون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجاً. فإنّا وعلماءنا وأئمتنا المتقدمين والمتأخرين لا نكفّر إلّا من كفّر الله ورسوله ممّن أشرك بالله في عبادته عند ضرائح الأولياء والصالحين وصرف لهم خالص حق الله الذي لا ينبغي لأحد سواه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما. فهؤلاء هم الذين نكفرّهم بعد قيام الحجة عليهم ونقاتلهم ونسمي قتالهم الجهاد في سبيل الله شاء الشيطان ذلك أم أبى. وقد ذكر السيد الألوسي في تاريخه جواب الشيخ عبد اللطيف في مناظرته لداود بن جرجيس (71 ـ 72) فراجعه هناك. وقد قال الشيخ مُلَّا عِمْرَان بن رضوان نزيل لنجه رحمه الله تعالى في الرّد على من زعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأتباعه يكفرون الناس بالعموم فقال:

قالوا يعمّ المسلمين جميعهم   بالكفر قلنا ليس ذا بمؤكّدِ
بل كل من جعل العديل لربه   ونهى فصد فذاك كالمتهوّدِ

ولقد أحسن الشيخ (محمد بهجة الأثري) في تعليقه على هذا الكلام حيث بَرَّأ علماء المسلمين من هذا المذهب الخبيث الذي يؤول بأهله إلى مذهب الخوارج.

وإعلم أن هذا الكلام الذي حكاه السيد محمود شكري في الإمام سعود بن عبد العزيز. قد قاله أناس كثيرون ممّن شرق بهذا الدين واتّبع غير سبيل المؤمنين. ومرادهم بذلك أن يطفئوا نور الله

بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون. فمن هؤلاء الذين تفوّهوا بهذه الأمور التي قد كان بعضها حقاً وبعضها باطلاً، عثمان بن منصور صاحب سدير. وقد كان من تلامذة داود بن جرجيس. فإنه اعترض على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعلى أتباعه في إظهار التوحيد ودعوة الخلق إلى دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه. وزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد جرّ على أهل نجد الدواهي وذكر نحواً مما تقدم ذكره عن السيد محمود. فأجابه على ذلك شيخنا الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام المجدد لهذا الدين والقائم في إعلاء كلمة التوحيد في نجد بعد ما اندرست أعلامه بالعساكر التركية ومن ساعدهم من أعداء هذا الدين. وهو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى. فقال في المقام التاسع من المقامات التي ألّفها في آخر عمره وفي الرد على عثمان بن منصور بعد أن ذكر ثمان مقامات في إبطال ما موّهه أعداء هذا الدين وذكر ما ابتلى الله به المسلمين من أعداء هذا الدين. وأما الدولة التركية المصرية فابتلى الله بهم المسلمين لما ردّوا الحاج الشامي عن الحج بسبب أمور كانوا يفعلونها في المشاعر فطلبوا منهم أن يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة فما حصل منهم ذلك. فردّهم سعود رحمه الله تعالى تديّناً فغضبت تلك الدولة التركية وجرى عندهم أمور يطول عدّها ولا فائدة في

ذكرها. فأمروا محمد علي صاحب مصر أن يسير إليهم بعسكره وبكل ما يقدر عليه من القوة والكيد. فبلغ سعوداً ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير لقتالهم وأمره أن ينزل دون المدينة. فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضائفي وأهل بيشة وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجديّده. فاختار عبد الله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم. وذلك أن العسكر المصري في ينبع. فاجتمع المسلمون في بلد حرب وحفروا في مضيق الوادي خندقاً وعبئوا الجموع. فصار في الخندق من المسلمين أهل نجد، وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق، فحين نزل العسكر أرزت خيولهم وعلموا أنه لا طريق لهم إلى المسلمين. فأخذوا يضربون بالقبوس، فدفع الله شرّ تلك القبوس الهائلة عن المسلمين. إن رفعوها مرّت ولا ضرّت. وإن خفضوها اندفنت في التراب. فهذه عبرة وذلك أن أعظم ما معهم من الكيد أبطله الله في الحال. ثم مشوا على عثمان ومن معه في الجبل فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوهم به وما أعدّوه لهم حين أقبلوا عليهم، فما أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر قتلاً ذريعاً. وهذه أيضاً من العبر، لأن العسكر الذي جاءهم أكثر منهم بأضعاف. ومع كل واحد من الفرود والمزندات فما أصابوا رجلاً من المسلمين، وصار القتل فيهم. وهذه أيضاً عبرة عظيمة. هذا كله وأنا أنظره وأشاهده. ثم مالوا إلى الجانب الأيمن من الجبال

بجميع عسكرهم من الرجال. وأما الخيل فليس لها فيه مجال.
فانهزم كل من كان على الجبل من أهل بيشة وقحطان وسائر العربان إلّا ما كان من حرب فلم يحضروا. فاشتدّ الأمر على المسلمين لما صاروا في أعلى الجبل. فصاروا يرمون المسلمين من فوقهم فحمي الوطيس آخر ذلك اليوم ثم من غد. فاستنصر أهل الإسلام ربهم الناصر لمن ينصره. فلما قرب الزوال من اليوم الثاني نظرت فإذا برجلين قد أتيا فصعدا فوق ذلك الجبل، فما سمعنا لهم بندقاً ثارت إلّا أن الله كسر ذلك البيرق ـ العَلَم ـ ونحن ننظر، فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر. فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذي جاؤوا معه. فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون. هذا ونحن ننظر إلى تلك الخيول قد حارت وخارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب الخندق ومعهم بعض الرجال، فولّت تلك الخيول مدبرة وتبعتهم خيول المسلمين في أثرهم. وليس معهم زاد ولا مزاد. فانظر إلى هذا النصر العظيم من الآله الحق ربّ العباد. لأن الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين. فهذه ثلاث عبر، لكن أين من يعتبر.
فأخذوا بعد ذلك مدة من السنين: ثم بعد ذلك سار طوسون كبير ذلك العسكر الذي هزمه الله، فقصد المدينة فوراً وأمر سعود على عبد الله ومن معه من المسلمين أن ينهضوا لقتالهم، فوجدوهم قد هجموا على المدينة ودخلوها وأخرجوا من كان بها من أهل نجد

وعسير. فحجّ المسلمون تلك السنة فأقبل ذلك العسكر ونزل رابغاً ونزل المسلمون وادي فاطمة. فخانهم شريف مكة وضمهم إليه وجاؤوا مع الخبت على غفلة من المسلمين. فعلم المسلمون أنه لا مقام لهم مع ما جرى من الخيانة فرجعوا إلى أوطانهم. فخاف عثمان وهو بالطائف أن يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه لما يعلم من شدّة عداوتهم، فخرج بأهله وترك لهم الطائف أيضاً مخافة أن يجتمعوا على حربه، وليس معه إلّا القليل من عشيرته ولا يأمن أهل الطائف أيضاً. فنزل المسلمون بترَبة بعد ذلك نحواً من شهر ثم رجعوا حين أكلوا ما معهم من الزاد، فجرت بعد ذلك وقعات بينهم وبين المسلمين لا فائدة في الإطالة بذكرها. والمقصود أن استيلاءهم على المدينة ومكة والطائف كان بأسباب قدرها الملك الغلاب.

فيريك عزّته ويبدي لطفه والعبد في الغفلات عن ذي الشأن

وفيها من العبر أن الله أبطل كيد العدوّ وحمى الحوزة وعافى المسلمين من شرّهم. وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المدينة ومكة نحواً من ثلاث سنين أو أربع.

ثم لما توفي الإمام سعود رحمه الله وصار الأمر بعده إلى ابنه عبد الله بن سعود وقد تغلبت الدولة التركية على الحرمين وأكثر الحجاز. وكان بينهم وبين عبد الله هدنة ومصالحة لكن ما أراد الله تمام ذلك لما في ذلك لله من الحكمة التي قدرها وقضاها بسبب

الذنوب التي اقترفها المسلمون ﴿...وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ فمشوا بعساكرهم العظيمة وساعدهم بعض البوادي ممّن ارتد عن الإسلام إلى نجد وجاسوا خلال الديار حتى وصلوا إلى الدرعية فحاصروا المسلمين فيها عدة أشهر. ثم خان بالمسلمين من خان بهم والله حسيبه. فأخذوا البلاد وقهروا العباد وأظهروا في الأرض الفساد. ونقلوا آل سعود وآل الشيخ وأرسلوا بهم إلى مصر. ثم صار لهم بعد ذلك في المسلمين معاودة مرات عديدة يطول ذكرها، ثم لما روّح إبراهيم باشا من روح إلى مصر بعد روحة عبد الله بن سعود رحمه الله أتبعه عياله وإخوانه وكبار آل الشيخ. وبعد ذلك حج فسلّط الله على عسكره الفناء وما وصل مصر إلّا بالقليل. فلما وصل مصر حلّت بهم عقوبات أهل الإسلام فمشى على السودان فما أظفره الله فرجع مريضاً. ثم أن محمد علي بعث ابنه إسماعيل وتمكّن منهم بصلح. فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجوار أحرقوه بالنار في بيته ومن معه من العسكر. ثم بعده روح لهم دفتدارولا ذبّل منهم شيئاً. وأما عساكر الحجاز التي وصلت مصر قبل إبراهيم باشا حسين بك الذي صار في مكة، وعابدين بك الذي صار في اليمن فسيرهم محمد علي قبل هذه الحرب مورة وگريد لما خرجوا عن السلطان. فاستمده السلطان على حربهم فأمدّه بهذين العسكرين فهلكوا عن آخرهم ولم يفلت

منهم عين تطرف. وذلك أن مورة وگريد في الأصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان والعساكر المصرية في حربهم ما لا يحصى. وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب ما جرى منهم على أهل الإسلام. حتى الأرناوط في جبلهم عصوا على السلطان قبل حادثة مورة وگريد. وبعد هذا اشتدّ الأمر على السلطان وبعث يستنصر محمد علي. فبعث لهم عسكراً كبيرهم قار علي فهلكوا في البحر قبل أن يصلوا. ثم إن السلطان بعث نجيب أفندي لمحمد علي يطلب منه أن يسير بنفسه فبعث إليه يعتذر بالمرض. وأن إبراهيم باشا يقوم مقامه، وقبل ذلك بعث حسين بك الذي سبا أهل نجد وقتل منهم البعض فرحل وفزع. وفزع للسلطان قبل روحة إبراهيم باشا في عسكره الذي كان معه في نجد، وتبعه إبراهيم باشا بمده. ونزلوا مورة لحرب أهلها فأذلّهم الله لهم فقتلوا فيهم قتلاً عظيماً. فأما عسكر حسين بك فما قدم مصر منهم إلّا صبي. وأما إبراهيم باشا فاشترى نفسه منهم بالأموال. فانظر إلى هذه العقوبة العاجلة التي أوقعها الله على الآمر والمأمور، وأكثر الناس لا يدري بهذه الأمور. فهذا الذي ذكرناه فيه عبرة عظيمة وشاهد لأهل هذا الدين، إن الله لمّا سلّط عليهم عدوّهم ونال منهم ما نال صارت العاقبة والسلامة والعافية لمن ثبت على دينه واستقام على دين الإسلام. ثم إن الله تعالى أوقع بعدوهم ما ذكرنا وأعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل

الاختصار لقصد الاعتبار. فاعتبروا يا أولي الأبصار. ثم إن الله أجرى على من أعانهم من أهل نجد ممّن شكّ منهم في هذا الدين، وكثر الطعن على المسلمين أن الله تعالى أفناهم. وهذه أيضاً من العبر لم يبق أحد ممّن ظهر شرّه وإنكاره وعداوته للمسلمين إلّا وعوجل بالهلاك والذهاب ولا فائد في الإطالة بِعَدِّهِم. ومن سألنا أخبرناه عنهم بأعيانهم. فهذا ما جرى على الدول الذي زعم ابن منصور أن شيخنا جرّها على أهل نجد وما جرى بسبب تلك الدول من ظهور هذا الدين والعزّ والتمكين وذهاب من ناواهم من هذه الدول وغيرها، فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه. وهو المرجو أن يوزعنا شكر ما أنعم به علينا من هذا الدين الذي رضيه لعباده وخصّ به المؤمنين.

ومن عجيب ما اتفق لأهل هذه الدعوة أن محمد بن سعود عفا الله عنه لمّا وفقه الله لقبول هذا الدين ابتداءً بعد تخلّف الأسباب وعدم الناصر. شمّر في نصرته ولم يبال بمن خالفه من قريب أو بعيد حتى أن بعض أناس ممّن له قرابة به عذله عن هذا المقام الذي شمر إليه. فلم يلتفت إلى عذل عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب بل جدّ في نصرة هذا الدين. فملكه الله تعالى في حياته كل ما استولى عليه من القِرى، ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس لهذا الدين ويجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم على الناس بهذا الدين الذي لا

شك فيه ولا التباس. فصار الأمر في ذريته لا ينازعهم فيه منازع ولا يدافعهم عنه مدافع، وأعطاهم الله القبول والمهابة وجمع الله عليهم من أهل نجد وغيرهم ممّن لا يمكن اجتماعهم على إمام واحد إلّا بهذا الدين. وظهرت آثار الإسلام في كثير من الأقاليم النجدية وغيرها ممّا تقدم ذكره، وأصلح الله بهم ما أفسدت تلك الدول التي حاربتهم ودافعتهم عن هذا الدين ليطفئوه، فأبى الله ذلك وجعل لهم العزّ والظهور كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك. نسأل الله أن يديم ذلك وأن يجعلهم أئمة هدى. وأن يوفّقهم لما وفّق له الخلفاء الراشدين الذين لهم التقدم في نصرة هذا الدين، وعلينا وعلى المسلمين أن ندعو لمن ولّاه الله أمرنا من هذه الذرية أن يصرف عنا وعنهم كل محنة وبليّة. وأحيا الله بهم ما درس من الشريعة المحمدية. وأصلح لهم القلوب وغفر لنا ولهم الذنوب. اللَّهُمَّ اغفر لنا ولهم لنتوب.

هذا آخر ما أردنا إيراده والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلّم تسليماً كثيراً.

في 25 ذي الحجة سنة 1344.



هذا الكتاب

هو كتاب مفيد نادر المثال في موضوعه وإنْ لم يكن مُنْشأ على الأسلوب التحليليّ الذي توخّاه أغلب كتاب العربية اليوم، ويعيبون الحلْبة التي تقدمتهم على تجافيها عنه في الكتابة والتأليف، وحسبه فضلاً وفخراً أنه من أوّل المؤلفات التي كتبت عن تلك الديار النائية، والمنزوية عن العالم بالأمس، وأنه سيكون حتماً مرجِعَهُم وعمدتهم في خوض عباب البحث عن هذه الديار.

ولقد دعاني إلى إخراجه من مكنونات الغيب إلى عالم النشر مَسيس الحاجة إليه في معرفة تاريخ أمة عربية عظيمة لا يعرف الناس عنها إلا أقاويل مرقشة تلوكها أشداقهم وترمي بها أفواههم في الرسائل والصحف، وحكايات باردة لا نصيب لها من التحقيق والعلم اليقينيّ يتفيهق بها الذمْلقانيّون من أعداء الإصلاح وأنصار الجمود، ثم الوفاء لمؤلفه رحمه الله ذلك الرجل العظيم الذي تعهّدني بفضله، وصقل فكري، وقوّم أودي وأرضعني لبان العلم والأدب مدة من الزمن من غير جزاء إلى أن أتاه اليقين، جزاه الله عنّا وعن العلم بقدر أياديه العظيمة عليَّ؛ ونفعنا بهديه ونفحات آثاره ميتاً كما نفعلنا به حيًا حيث كنا وروّاد الأدب نروح إلى ناديه خماصاً ونغْدو بطاناً...

دار الوراق للنشر

Alwarrak Publishing Ltd.